

مقدمة القصيدة الإسلامية عند حسان بن ثابت رضي الله عنه

الدكتور/محمود عبدالله أبو الخير
كلية اللغة العربية - الجامعة الهاشمية
المملكة الأردنية الهاشمية

مسوغات البحث :

دفعني إلى هذا البحث دوافع عدة ؛ منها ما يتعلق بحسان رضي الله عنه ، ومنها ما يتصل بعصر صدر الإسلام ، وما يمت إلى الدراسات التي دارت حول مقدمة القصيدة بسبب .

أما ما يتعلق بحسان فينبع من كون الدراسات التي تناولته تركزت في الغالب حول حياته ، وصلته بالرسول ﷺ ، وحول شعره وأثره في الدعوة الإسلامية ، ومنافحته عن رسول الله ﷺ ورسالته المباركة ؛ فإن تجاوزت ذلك إلى قضايا الفن وعناصره ، لم تتطرق إلا إلى رقة شعره ولينه في الإسلام ، وأثر الإسلام في معاني شعره وأساليبه ؛ وأهملت الحديث عن قضايا فنية كثيرة ، في مقدمتها منهجه في بناء القصيدة ، وموقفه من مقدمتها التقليدية .

وأما ما يتصل بعصر صدر الإسلام ، فهو ما يلقاه هذا العصر من عقوق وإجحاف من قبل بعض الدارسين ، إذ لا يرونه جديراً بالدراسة المستقلة المتخصصة ، فيلحقونه بالعصر الجاهلي حيناً ، وبالعصر الأموي حيناً آخر ، منذرعين بحجج واهية ، منها : أن عصر صدر الإسلام كان مرحلة انتقالية ، وأن معظم شعرائه من المخضرمين الذين تشكلت ملكاتهم الشعرية في ظل الجاهلية ، وأن قصره لم يمكن شعراءه من تأصيل تقاليد فنية جديدة ، متجاهلين ، أو متناسين الوثبة الروحية ، والفكرية ، والثقافية الواسعة التي طرأت على الحياة العربية ، بفضل الإسلام ؛ وما أحدثته من تغيير جذري في كل مناحي الحياة ونشاطاتها الإنسانية والفكرية ، والأدبية ، وما تنطوي عليه من مفاهيم ، وقيم ، ومثل .

وأما ما يمت بسبب إلى مقدمة القصيدة العربية ، فهو أن الدراسات الأدبية المعاصرة قد تناولتها باستفاضة ، في العصر الجاهلي ، والعصر الأموي ، والعصر

العباسي ، وأغفلت دراستها في صدر الإسلام دراسة تكشف عن اتجاهاتها ، وترصد ملامح التطور فيها ، وموقعها من المسيرة الطويلة التي قطعتها عبر عصور الأدب المتعاقبة .

وقد رأيت أن أفرد مقدمات حسان الإسلامية ببحث خاص ليقيني أنها تتميز من مقدماته الجاهلية من وجوه عدة ؛ نظراً للتغير الشامل الذي طرأ على حسان في ظل الإسلام ، وما رافقه من تطور في نظرتة إلى الحياة ، وإلى الشعر ، وإلى القصيدة ، وعناصرها ، وبنيتها .

واستبعد البحث كل ما يتطرق إليه الشك من قصائد حسان ، مما نبه عليه القدماء والمعاصرون ، لتكون النتائج التي يصل إليها مبنية على مقدمات صحيحة . ويدور هذا البحث حول أربعة محاور رئيسة :

المحور الأول : ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه .

المحور الثاني : قصائده المستبعدة من البحث .

المحور الثالث : صور مقدماته الإسلامية .

المحور الرابع : ملامح التطور في مقدماته الإسلامية .

ويتعرض البحث في أثناء هذه المحاور لآراء بعض الباحثين في مقدمة القصيدة ، وفي أدب صدر الإسلام ؛ فيناقشها ، ويحاول تقويمها في ضوء ما تكشف عنه دراسة مقدمة القصيدة الإسلامية عند حسان رضي الله عنه .

* * *

المحور الأول : ديوان حسان بن ثابت رضي الله عنه :

يدل ما بين أيدينا من روايات وأخبار على أن شعر حسان بن ثابت - رضي الله عنه - قد وصلنا عن طريق محمد بن حبيب البصري^(١) (ت ٢٤٥هـ) وأبي عمر الشيباني^(٢) (ت ٢٠٦هـ)، وابن الأعرابي^(٣) (ت ٢٣١هـ) ؛ الكوفي^(٤) .
وترجع المخطوطات^(٥) التي اعتمد عليها محققو ديوانه إلى طريقين :
الأول : طريق محمد بن حبيب ، وعلي بن المغيرة الأثرم^(٦) (ت : ٢٣٠هـ) ،
وقد قرئت روايتهما على العدوي^(٧) (عاش زمن المتوكل)^(٨) .

(١) هو أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو مولى بني هاشم . وحبيب أمه ، كان عالماً بالأنساب والأخبار واللغة والشعر . ألف عدداً كبيراً من الكتب ذكرها ابن النديم . انظر : الفهرست ، ص : ١٥٥ ومعجم الأدباء ٤٧٥/٦ وتاريخ العلماء النحويين ، ص : ٢٠٤ .

(٢) هو إسحاق بن مرار (بكسر الميم) الشيباني بالولاء ، راوية واسع العلم باللغة ، ثقة في الحديث ، كثير السماع ، أخذ عنه ديوان أشعار القبائل كلها ، وصنف كتباً في اللغة . انظر : الفهرست ، ص : ١٠١ وانظر ترجمته في : إنباء الرواة على أنباء النحاة ١ : ٢٢١ - ٢٢٩ .

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن زياد الأعرابي ، عالم بالشعر . قال ثعلب : أملئ على الناس ما يحمل على أجمال لم ير في الشعر أغزر منه . وهو مولى العباس بن محمد بن علي بن العباس ، نحوي نسبة كثير السماع راوية لأشعار القبائل ، كثير الحفظ . انظر : الفهرست ، ص : ١٠٢ وتاريخ العلماء النحويين ، ص : ٢٠٥ .

(٤) باستثناء مخطوطة ط (طوبقو ، إستنبول رقم أحمد الثالث ٢٥٣٤) . انظر : د. وليد عرفات ، ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ٢٩/١ .

(٥) هو أبو الحسن علي بن المغيرة الأثرم ، توفي سنة ٢٣٠هـ ، روى عن الأصمعي وأبي عبيدة ، وعن جماعة من العلماء ، وعن فصحاء الأعراب . انظر : الفهرست ، ص : ٨٣ .

(٦) هو أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حميد العدوي القرشي ، وينسب إلى جده فيقال الجهمي . أحد علماء القرن الثالث الهجري ، حجازي دخل العراق ، وتآدب بها ونشأ ، وكان أديباً راوية للشعر ، شاعراً متفتناً عالماً بالنسب والمثالب ، وينال جلة الناس . وله عدد من الكتب . انظر : الفهرست ، ص : ١٦٢ ومعجم الأدباء ١٣٠/٤ والوافي بالوفيات ٢٣٧/٢ وكان حياً سنة خمس وخمسين ومائتين .

(٧) انظر د. وليد عرفات ، مقدمة ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ص : ٣٤ ، وانظر د. سيد حنفي حسنين : مقدمة ديوان حسان بن ثابت ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٧٤م ، ص : ١٩ .

والثاني : رواية السكري ^(١) (ت ٢٩٠ هـ) ، عن محمد بن حبيب ، وقد سلكت طريقين أيضاً :

أولهما : طريق السيرافي ^(٢) (ت ٣٦٨ هـ) ، عن إسماعيل بن محمد الصفار ^(٣) (ت ٣٤١ هـ) ، عن السكري ، عن ابن حبيب .

وثانيهما : طريق محمد بن العباس بن الفرات ^(٤) (ت ٣٨٤ هـ) عن أبيه أبي الخطاب العباس بن الفرات ^(٥) (ت ٣٣٨ هـ) عن السكري عن ابن حبيب ^(٦) .
والروايتان من سماع ^(٧) أبي الغنائم محمد بن أحمد بن عمر الخلال ^(٨) .

غير أن من يتصفح ديوان حسان يجد أن ذكر الأثرم إلى جوار محمد بن حبيب في الصفحة الأولى قد " لا يعني أكثر من أن الأصل كان رواية محمد بن حبيب أضيف إليها زيادات وتعديلات في مناسبات مختلفة " ^(٩) .

(١) هو أبو سعيد الحسين بن الحسين بن عبدالله بن عبدالرحمن العللاء السكري ، تلميذ ابن حبيب ، عالم باللغة والأنساب والأيام والشعر. صنع عدداً من دواوين الشعراء والقبائل ، توفي سنة ٢٩٠ هـ. انظر :
الفهرست ، ص : ١١٧ ومعجم الأدباء ٦٦/٣ وتاريخ العلماء النحويين ، ص : ٢١٦ .

(٢) هو أبو سعيد الحسن بن عبدالله المرزبان ، فارسي الأصل ، من العلماء الثقات في اللغة والنحو . له عدد من الكتب ، منها شرح كتاب سيبويه . ولي القضاء في آخر عمره ، عني بالقرآن والقراءات والفقه والفرائض والشعر والعروض . انظر : الفهرست ، ص : ٩٣ ومعجم الأدباء ١٤٥/٨ وتاريخ العلماء النحويين ، ص : ٢٨ .

(٣) هو إسماعيل بن محمد الصفار ، تلميذ المبرد ، عالم باللغة . انظر : معجم الأدباء ٣٣/٧ وإنباء الرواة ٢١١/١ .

(٤) ولد بعد ٣١٠ هـ بقليل ، توفي سنة ٣٨٤ هـ . تاريخ بغداد ١٢٢/٣ والكمال في التاريخ حوادث سنة ٣٨٤ .
(٥) فاضل أديب ، أخذ عن أبي سعيد السكري ، ولد سنة ٢٥٨ هـ وتوفي في رجب سنة ٣٣٨ هـ وكان ثقة حافظاً للحديث . انظر : تاريخ بغداد ١٥٩/٣ .

(٦) انظر : وليد عرفات ٣٠/١ وسيد حنفي ص ٢٢ .

(٧) سيد حنفي ص ٢١ .

(٨) عالم في اللغة ، أخذ عن السيرافي وأبي علي الفارسي والرماني . انظر : معجم الأدباء ٢٠٨/٧ .

(٩) وليد عرفات ٣١/١ .

ولم يذكر الأثرم بالاسم في المخطوطة ^(١) التي قرنت اسمه باسم ابن حبيب سوى في ثلاثة مواضع ^(٢). والأثرم لم يكن خبيراً بشعر حسان ^(٣)، فقد قرئت عليه قصيدة لم يروها ابن حبيب، وقال العدوي عنها: إنها مصنوعة ^(٤). وكان يهتم بأخبار حسان أكثر من اهتمامه برواية شعره ^(٥).

يتضح من ذلك أن الديوان الذي بين أيدينا هو رواية محمد بن حبيب البصري. غير أن ابن حبيب كان كثيراً ما يعلق على ما يرويه من شعر حسان بقوله: هذه القصيدة ليست في كتاب أبي عمرو، ولا رواها ابن الأعرابي. وهذا يعني أنه "كان ينظر في رواية الراويتين الكوفيين في أثناء إملائه لديوان حسان" ^(٦).

ورواية ابن حبيب ليست موثوقة كل الثقة، "فقد دخلها كثير من الشعر الموضوع حتى لينسب بعض أبيات للأخطل إلى حسان" ^(٧).

ومما يقوى هذا الظن ما يرويه صاحب إنباه الرواة، ومعجم الأدباء ^(٨) من أن ابن حبيب كان يملئ شعر حسان، فلما عرف موضع ثعلب ^(٩) (ت ٢٩١هـ) قطع إملاءه، فانصرف عنه ثعلب، ثم عاد إليه فترفق به حتى عاد إلى الإملاء.

(١) المخطوطة (طا). انظر: وليد عرفات ٣٤/١.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سيد حنفي، ص: ٢٠.

(٤) انظر: ديوان حسان تحسيد حنفي، ص ١١٣.

(٥) سيد حنفي، ص ٢٠.

(٦) السابق، ص: ١٢ وعرفات ٣٥/١.

(٧) سيد حنفي ص ٢٠.

(٨) إنباه الرواة ١١٩/٣ ومعجم البلدان ١١٤/١٨.

(٩) هو أبو العباس، أحمد بن يحيى الشيباني (٢٠٠ - ٢٩١هـ) عالم واسع الرواية، له مصنفات في النحو واللغة، منها: الفصيح، وفعلت وأفعلت، واختلاف النحويين. انظر: إنباه الرواة ١١٩/٣، تاريخ العلماء النحويين ١٨١ - ١٨٢.

وقد يفهم من ذلك أن ابن حبيب كان يشك في بعض ما يرويه من شعر حسان ، وأنه كان يخشى أن يسمعه ثعلب الذي كان كثيراً ما يسأله حتى يضيق به ^(١) .

وقد حظي ديوان حسان رضي الله عنه باهتمام المسلمين في كثير من أقطار العالم الإسلامي ^(٢) ؛ نظراً لمكانة الشاعر من الرسول ﷺ ، وصلة شعره بأحداث السيرة النبوية العطرة .

طبع ديوان حسان عدة طبعات ^(٣) ، تتفاوت من حيث الدقة ، والضبط ، والقيمة العلمية ، فطبع لأول مرة في تونس سنة ١٢٨١ هـ ، دون تحقيق أو شرح . وطبع على حجر (بالزنكوغراف) في بمباي بالهند في السنة ذاتها . ثم في لاهور سنة ١٢٩٥ هـ بشرح مولوي فيض الحسن ، ثم في القاهرة سنة ١٣٢١ هـ في مطبعة الإمام بشرح محمود شكري المكي ، ثم ظهرت طبعة هندية أخرى في بمباي بإشراف القاضي عبدالكريم بن القاضي محمد سنة ١٣٢٨ هـ / ١٩١٠ م ، وفي السنة ذاتها صدرت طبعته الأوروبية التي أعدها المستشرق هارتويغ هرشفلد في لندن ضمن سلسلة جب التذكارية .

وبعد ذلك بثلاث سنوات صدرت في القاهرة طبعة عن مطبعة دار السعادة ، بشرح محمد العناني الضابط بنظارة الحرية .

ثم ظهرت في القاهرة عن دار السعادة أيضاً سنة ١٣٤٧ هـ / ١٩٢٩ م طبعة الشيخ عبدالرحمن البرقوقي ، " وهي أكبر مجموعة من القصائد ، والمقطعات نشرت لحسان " ^(٤) .

(١) سيد حنفي ، ص : ٢٠ وعرفات ٣٣/١ .

(٢) صدرت بعض طبعاته في أوروبا ، كما سيأتي .

(٣) عرض لها وليد عرفات ٢٦/١ - ٢٧ وسيد حنفي ، ص : ٥٤ - ٥٥ .

(٤) سيد حنفي ، ص : ٥٥ .

وعلى الرغم من أنها أعدت على عجل ، كما يقول محققها^(١) ، مما جعلها تفتقر إلى "التصحیحات والتعليقات التي تنتج من دراسة دقيقة لموضوع صحة الأشعار والظروف التي قيلت فيها"^(٢) ، إلا أنها "أصح الطبقات نصاً وأوفاهها شروحاً"^(٣) .

وفي سنة ١٩٥٩م أصدرت دار صادر في بيروت طبعة أخرى من ديوان حسان . كما ظهرت في (دكا) بباكستان طبعة مدرسية تحوي ثلاث عشرة قصيدة سنة ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م .

وبعد ذلك بعشر سنوات أصدر أنجب علي الجزء الأول من طبعة لديوان حسان في (كلكتا) بالهند سنة ١٩٣١م ، يضم القصائد التي على قافية الألف . وفي سنة ١٩٧٤م صدرت آخر طبعين من ديوان حسان :

الأولى : الطبعة التي حققها الدكتور سيد حنفي حسنين ، وصدرت عن دار المعارف بالقاهرة .

والثانية : الطبعة التي قام بتحقيقها الدكتور وليد عرفات ، أستاذ الدراسات العربية والإسلامية بجامعة لانكستر في بريطانيا ، وصدرت عن دار صادر في بيروت في جزأين .

ويبدو أن صدور الطبعين في عام واحد لم يمكن أياً من المحققين من الاطلاع على عمل الآخر .

وتمتاز طبعة الدكتور وليد عرفات بما يأتي :

أولاً : أنها جمعت بين دفتيها كل ما نسب إلى حسان بن ثابت من شعر ، سواء أضمه الديوان في مختلف رواياته ، أم تضمنته المصادر الأخرى ، مع ما في سائر

(١) وليد عرفات ٢٨/١ وسيد حنفي ص : ٥٥ .

(٢) وليد عرفات ٢٩/١ .

(٣) السابق ٢٨/١ .

مخطوطات الديوان من شروح وتعليقات ، مضافاً إليها تعليقات أخرى من المصادر الأخرى ، فضلاً عن شروح المحقق وتعليقاته ^(١) .

ثانياً : أنَّ المحقق وقف على جميع طبعات الديوان التي صدرت قبل طبعته ، في حين أغفل سيد حنفي : الطبعة الهندية التي أُعدَّت (بالزنكوغراف) في بمباي تحت إشراف القاضي عبدالكريم بن القاضي محمد ، وظهرت سنة ١٣٢٨هـ / ١٩١٠م ، والطبعة التي صدرت عن دار صادر في بيروت سنة ١٩٥٩م ، والطبعة التي ظهرت في (دكا) سنة ١٣٤٠هـ / ١٩٢١م والطبعة التي صدرت في (كلكتا) سنة ١٩٣١م ^(٢) .

ثالثاً : رجع المحقق إلى ثلاث مخطوطات بالغة الأهمية ، لم يسبق أن وقف عليها أحد من محققي الطبقات السابقة ، كما لم يرجع إليها د. سيد حنفي. وفي تلك المخطوطات مادة جديدة ، ومميزات انفردت بها ، مما مكن المحقق من أن يخرج قصائد طبعته في أكمل صيغة ، وأتم صورة ^(٣) . كما أن تلك المخطوطات حافلة بشروح السابقين ، وبشروح على تلك الشروح ، وعلى الشعر ؛ واستلزمت مع ذلك تعليق المحقق على كل ذلك وعلى النص ^(٤) .

وتلك المخطوطات هي :

- ١ - مخطوطة أحمد الثالث رقم ٢٦١٣ في مكتبة طوبقبوسراي بإستانبول ، وهي مخطوطة مهمة ، لقدمها ؛ فقد كتبت سنة ٤٨٢هـ ، فهي أقدم مخطوطات الديوان المعروفة برواية محمد بن حبيب ، وهي أقدم من المخطوطة التي تلتها بخمسمائة سنة ^(٥) .

(١) وليد عرفات ، ص : ٧ .

(٢) انظر : وليد عرفات ٢٥/١ - ٢٩ ووازن بينها وبين سيد حنفي ٥٤ - ٥٥ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ص : ٤٠ ، ٨ ، ٩ .

(٤) المرجع نفسه ، ص : ١٠ .

(٥) نفسه ، ص : ٤٠ .

- ٢- مخطوطة أحمد الثالث رقم ٢٥٣٤ في مكتبة طوبقوسراي بإستنبول .
وفيهما ثمان وثلاثون قصيدة ومقطوعة تنفرد بها عن سائر المخطوطات ^(١) .
- ٣- مخطوطة إسماعيل صائب . وهي وإن تأخرت في الزمن ، حيث إنها كتبت سنة ١١٦٧هـ ، إلا أنّ لها أهمية خاصة ، لأنها تنطوي على معلومات إضافية ، وتحتوي تعليقات أكثرها عن ابن الفرات أو السيرافي ؛ كما أنها تعيّن بدقة نصيب كل منهما من الروايات ، والتعليقات ، بكاملها أو بأجزائها ^(٢) .

الوضع والاضطراب في شعر حسان :

لحق شعر حسان من الوضع والاضطراب ما لم يلحق غيره من شعراء عصره أو غيرهم . ولعل أقدم من نبه على ذلك حفيده الشاعر سعيد بن عبدالرحمن بن حسان ^(٣) (أحد شعراء العصر الأموي) ، فقد " ألقى ضوءاً على شيء مما نسب إليه ، وسجل للدارسين أسباب وضعه " ^(٤) .
ونقل ابن إسحاق ^(٥) (ت ١٥٠هـ) بعض جهود سعيد بن عبدالرحمن في

(١) نفسه ، ص : ٤٣ .

(٢) نفسه ، ص : ٤٤-٤٥ .

(٣) هو ابن عبدالرحمن بن حسان الشاعر ، أحد الشعراء الأمويين الأقل شهرة عاش في الحجاز ، وزار دمشق مراراً ، ومدح خلفاء بني أمية ، وكان على صلة وثيقة بالوليد بن يزيد ، وتاريخ وفاته غير معروف .
انظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة ص : ١٧٢ ، الفهرست ص : ١٥٨ وتاريخ التراث العربي لسزكين المجلد الثاني - الشعر ، عصر صدر الإسلام وبني أمية ص ١٧٥-١٧٦ .

(٤) وليد عرفات ١٦/١ .

(٥) هو أبو عبدالله محمد بن إسحاق بن يسار ، صاحب السيرة النبوية ، مطعون عليه ، غير مرضي الطريقة . كان يعمل له الأشعار ، ويؤتى بها ، ويسأل أن يدخلها في كتابه في السيرة ، فيفعل ، وكان يحمل عن اليهود والنصارى ويسميه أهل الكتاب الأول . ولد سنة ٨٠هـ / ٧٠٤م بالمدينة المنورة وتوفي في بغداد سنة ١٥٠هـ / ٧٦٧م . الفهرست ١٣٦ وتاريخ التراث العربي ، م ١ ج ٢ التدوين التاريخي ٨٧-٨٨ .

تنقية شعر حسان . ومن ذلك مثلاً قطعه بأن حسان لم يرم ابن الزبيري^(١) (ت ١٥ هـ تقريباً) عندما هرب إلى نجران سوى بيت واحد ، ما زاد عليه^(٢) ، وهو :

لا تَعْدَمَنَّ رَجُلًا أَحَلَّكَ بُغْضُهُ نَجْرَانَ فِي عَيْشٍ أَحَدًا لَيْمٍ^(٣)

وتكشف ملحوظات سعيد بن عبدالرحمن التي نقلها ابن إسحاق في السيرة النبوية عن كثير من أسباب الوضع في شعر حسان ، مثل : استكثار العشائر القرشية من الشعر ، وتشويه ماضي بعضها للطعن في حاضرها ، وسبّ الأحفاد بسبب الأجداد ، وسوى ذلك^(٤) .

وأكد الأصمعي^(٥) (ت ٢١٣ هـ) ذلك ، عندما قال مبرئاً شعر حسان من مظنة الضعف : " تنسب إليه أشياء لا تصح عنه "^(٦) .

وفطن إليه ابن هشام^(٧) (ت ٢١٨ هـ) ، فعمل على تنقية سيرة ابن إسحاق مما شابها من غشاء ، فكان يعرض ما رواه ابن إسحاق من شعر حسان وغيره ، على

(١) ابن الزبيري : أبو سعد عبدالله بن الزبيري أحد بني سهم بن فهر ، ولد بمكة وعادى الإسلام ، وهجا النبي ﷺ ، ثم هرب إلى نجران ثم عاد إلى مكة بسبب بيت لحسان ، ثم أسلم ومدح الرسول ﷺ ، وأدرك خلافة عمر بن الخطاب ، وتوفي فيها .

تاريخ التراث العربي ، م ٢ ج ٢ الشعر ، العصر الجاهلي ٢٨٨ . وانظر : طبقات فحول الشعراء ١٩٦ . ١٩٧ والأغانى ١٣٧/٤ و ١٤٠ - ١٤١ وله ديوان من جمع د/ يحيى الجبوري ونشر مؤسسة الرسالة ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ٦١/٤ .

(٣) ديوان حسان تح سيد حنفي ص ١٠١ وتح عرفات ٢٨٧/١ وانظر السيرة ٦١/٤ .

(٤) وليد عرفات ، ص : ١٦ .

(٥) الأصمعي : عبدالملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي ، أبو سعيد له كثير من المؤلفات في اللغة والشعر ، توفي بالبصرة سنة ١٥٠ . انظر تاريخ العلماء النحويين ص : ٢١٨ - ٢٢٤ .

(٦) ابن عبدالبر القرطبي : الاستيعاب (ط مصر) ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م ج ١ ص ١٣١ .

(٧) هو أبو محمد ، عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري ، مؤرخ وعالم بالأنساب ونحوي . ولد بالبصرة ، وعاش في مصر ، وتوفي بالفسطاط سنة ٢١٨ هـ / ٨٣٤ م أو سنة ٢١٣ هـ . انظر : تاريخ التراث العربي

م ١ ج ٢ التدوين التاريخي ، ص : ١٠٦ .

علماء البصرة ، وفي مقدمتهم أبو زيد الأنصاري^(١) (ت ٢١٥ هـ) فيصح ما وثقوه ، وينبه على ما اتهموه أو أنكروه^(٢) .

ثم أثار ابن سلام الجمحي^(٣) (ت ٢٣١ هـ) هذه المسألة بقوة في كتابه (طبقات فحول الشعراء) حين نبه على ما أدخله ابن إسحاق في (سيرته) من شعر منحول ، فقال : " وكان ممن أفسد الشعر وهجنه ، وحمل كل غثاء منه محمد ابن إسحاق بن يسار "^(٤) . ورفض ما اعتذر به ابن إسحاق عن قبوله للأشعار المنحولة ، فقال : " وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر ، أوتى به فأحمله ، ولم يكن له عذرا ... "^(٥) .

ونبه على ما في شعر حسان من انتحال يفوق ما في شعر غيره فقال : " وقد حُمل عليه ما لم يُحمل على أحد "^(٦) .

وكشف عن دوافع الانتحال في شعره ، فبين أن الأهواء السياسية والعصبية القبلية ، هي أهم دوافع الانتحال ، فقال : " لما تعاضت قريش واستبّت وضعوا عليه أشعاراً كثيرة لا تُنقى "^(٧) .

وهكذا أصاب ابن سلام كبّد المشكلة ، فحدّد مصدراً مهماً من مصادر الشعر المنسوب إلى حسان . وكرّر قول ابن سلام هذا من بعده من كرّر ، وتوسع وبسط

(١) أبو زيد الأنصاري : سعيد بن أوس الأنصاري ، عالم بالنحو بصري أخذ عن أهل الكوفة ، توفي سنة ٢١٥ هـ له عدد من الكتب . الفهرست ٨١ وتاريخ العلماء النحويين ص : ٢٢٤ .

(٢) شوقي ضيف ، العصر الإسلامي ، ص : ٨٠ وسيد حنفي ص : ٢٩ ووليد عرفات ٢٠١/٢٠ .

(٣) أبو عبدالله محمد بن سلام الجمحي ، راوية أخباري ، له عدد من الكتب ، توفي سنة ٢٣١ هـ . انظر : الفهرست ص : ١٦٥ .

(٤) طبقات فحول الشعراء ، ص : ٩ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) المصدر نفسه ، ص : ١٧٩ .

(٧) المصدر السابق .

القول فيه من توسع . فمن كرره ابن النديم^(١) ، وياقوت الحموي^(٢) . ومن توسع فيه من المعاصرين ، شوقي ضيف ، وسيد حنفي ، ووليد عرفات وعبدالله الحامد وسواهم . فقد بين هؤلاء كيف استغل الأمويون شعر حسان استغلالاً كبيراً ، فزادوا في شعره أشعاراً مملوءة غيظاً على قتلة عثمان رضي الله عنه^(٣) ، " ليظهروا للناس أن شاعر الرسول ﷺ كان في صفهم ، وليغسلوا عنهم عار الأشعار التي نظمها حسان في هجاء أسرتهم حين كان أبو سفيان وغيره من رؤسائها يقودون الجيوش ضد الرسول صلى الله عليه وسلم ويحادونه "^(٤) .

ووضحوا كيف استغلت الأحزاب الأخرى شعر حسان ، كما استغله الأمويون فوضعت على لسانه أشعار في مدح الزبير بن العوام رضي الله عنه ، لترفع آل الزبير فوق عشائر قريش ، وتجعل الزبيرين أحق بالخلافة من سواهم^(٥) .

كما وضعت أشعار أخرى على لسانه في الإشادة بالعباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه ، للتدليل على أن حق العباسيين في الخلافة لا يقل عن حق العلويين ، كتلك الأبيات التي نسبت إليه في رثاء جعفر بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وفي تضاعيفها ذكر لعلي والعباس مع حمزة ، وجعفر ، رضي الله عنهم ، دون مناسبة^(٦) .

ويتصل بذلك أشعار لتأخري الأنصار حملت على حسان في الفخر بالأنصار قبلت بعد موقعة الحرة^(٧) . وأخرى وضعها الرواة تتصل بالمغازي والوقائع ،

(١) الفهرست (طبع القاهرة) ص : ١٣٦ .

(٢) معجم الأدباء ٨/ ١٨ .

(٣) انظر : شوقي ضيف ، العصر الإسلامي ، ص : ٨١ وعبدالله الحامد ، الشعر الإسلامي في صدر

الإسلام ، ص : ٢٥٦ .

(٤) شوقي ضيف ، ص : ٨١ .

(٥) انظر : سيد حنفي ، ص : ٢٥ - ٢٦ .

(٦) المرجع السابق ، ص : ٢٦ .

(٧) انظر وليد عرفات ٢٤/ ١ .

لتبييض صفحة مسودة ، ثم نسبوها إلى حسان ^(١) . وأشعار قيلت إبان الفتن والحروب ، ثم عزيت إلى حسان ^(٢) .

وفضلاً عما دخل شعر حسان من شوائب الوضع والانتحال ، اعتراه شيء من الاضطراب ، فاختلط شعره بشعر غيره من شعراء الأنصار ، وبخاصة : كعب بن مالك ، وعبدالله ابن رواحة رضي الله عنهما ؛ لاشتراكهما معه في هجاء قريش ^(٣) كما اختلط بعضه بشعر ابنه عبدالرحمن الذي كان يهاجي النجاشي الحارثي . ومن هنا اتهم كل ما نسب إلى حسان من ذلك الهجاء ^(٤) .

المحور الثاني: قصائده المستبعدة من البحث :

يبلغ عدد القصائد ^(٥) في ديوان حسان بن ثابت الذي حققه الدكتور وليد عرفات خمساً وعشرين ومائة قصيدة . وهذا العدد يضم القصائد التي رواها السيرافي ، عن إسماعيل بن محمد الصفار عن السكري عن محمد بن حبيب ؛ ورواية محمد بن العباس بن الفرات عن أبيه العباس بن أحمد بن الفرات عن السكري عن محمد بن حبيب ^(٦) . كما يضم الزيادات ، وهي القصائد التي انفردت بها مخطوطة أحمد الثالث ^(٧) ، وهي نسخة من ديوان حسان قرئت على العدوي سنة خمس وخمسين ومائتين ، وزيادات أخرى من غير مخطوطات الديوان ^(٨) .

(١) السابق .

(٢) نفسه ، ص : ٢٥ .

(٣) شوقي ضيف ، ص : ٨١ .

(٤) المرجع السابق .

(٥) أخذت في تحديد أبيات القصيدة بما ورد في العمدة ، من أنه " إذا بلغت الأبيات سبعة فهي قصيدة ، ولهذا كان الإيطاء بعد سبعة أبيات غير معيب عند أحد من الناس " . ابن رشيقي القيرواني ، العمدة تحميمي الدين عبدالحميد ، دار الجليل ، بيروت ١٨٨/١ - ١٨٩ . وانظر : مجدي وهبه ، معجم مصطلحات الأدب ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ص : ٤٢٤ .

(٦) وليد عرفات ، ص : ٣٠ .

(٧) انظر : ديوان حسان تح وليد عرفات ٤٥٠/١ .

(٨) المصدر السابق ٤٤١/١ .

ومن هذه القصائد تسعون قصيدة صحيحة النسبة إلى حسان ، تشكل ٧٢٪ من مجموع قصائده . منها خمس وسبعون إسلامية ، وخمس عشرة جاهلية . وفي ضوء ما سبق من الحديث عن الوضع والاضطراب في شعر حسان يستبعد البحث خمساً وثلاثين قصيدة تشكل ٢٨٪ من مجموع قصائده ، لما يحيط بها من الشكوك . منها ثلاث وثلاثون إسلامية تمثل ٩٤.٢٨٪ من مجموع قصائده المستبعدة من البحث وثلثان جاهليتان تمثلان ٥.٧١٪ منها . (انظر جدول النسب) .

ويمكن تصنيف هذه القصائد المستبعدة على النحو الآتي :

أولاً : ما توقف فيه ابن حبيب .

ثانياً : ما لم يجده السكري في كتاب ابن حبيب .

ثالثاً : ما شك فيه ابن هشام .

رابعاً : ما كشف عنه العدوي .

خامساً : ما نسب به بعض الرواة إلى غير حسان .

سادساً : ما شك فيه الباحثون المعاصرون .

سابعاً : ما شك فيه الباحث .

أولاً : القصائد التي توقف ابن حبيب ^(١) في إملائها .

مر بنا أن معظم ما بين أيدي الباحثين من شعر حسان من رواية السكري عن ابن حبيب . على أن رواية السكري تضم أشعاراً لم يملها ابن حبيب ، فقام السكري بنقلها من كتاب أستاذه . ومرّ بنا الخبر الذي نقله ياقوت الحموي حول توقف ابن حبيب عن إملاء ديوان حسان عندما لحظ وجود ثعلب .

(١) جميع المخطوطات التي رجع إليها محققو ديوان حسان برواية السكري عن ابن حبيب ومهما اختلفت النسخ فهي تعود إلى أصل واحد هو رواية السكري عن ابن حبيب ، ولم تذكر المصادر أن أحداً أملاه غير ابن حبيب . انظر : مقدمة وليد عرفات لديوان حسان ٢٩/١ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٧ .

ويبدو أن ابن حبيب لم يكن يجزم بصحة نسبة الأشعار التي توقف في إملائها إلى حسان ، ومما يرجح ذلك اتهام ابن هشام والعدوي لبعض تلك الأشعار ، كما أن المستشرق هرشفلد قد وقف منها موقف الشك ^(١) .

ومن هذه المجموعة ثلاث قصائد يستبعدا البحث ، وهي :

١ - قصيدة في قتلى بني أسد بن عبدالعزيز يوم بدر ، ومطلعها ^(٢) :

خَابَتْ بَنُو أَسَدٍ وَأَبَ غَزِيَّتُهُمْ يَوْمَ الْقَلْبِ بِسَوَاءٍ وَفُضُوح

٢ - قصيدة في هجاء أبي سفيان بن الحارث . أولها ^(٣) :

لَقَدْ عَلِمَ الْأَقْوَامُ أَنَّ ابْنَ هَاشِمٍ هُوَ الْغُصْنُ ذُو الْأَفْتَانِ لَا الْوَاحِدُ الْوَعْدُ

٣ - قصيدة جاهلية غزلية ، على قافية الفاء ، مطلعها ^(٤) :

مَا بَالَ عَيْنِي دُمُوعُهَا تَكْفُفُ مِنْ ذِكْرِ خُودٍ شَطَطَتْ بِهَا قُدْفُ

ثانياً : القصائد التي لم يجدها السكري في كتاب أستاذه :

وهذه مجموعة من القصائد لم يملها ابن حبيب ، ولم يجدها السكري في كتاب أستاذه ، وإنما زيدت في رواية العدوي ، وأغلب الظن أنها مما أخذ من كتب السير والمغازي ، والشك فيها لأن روايتها فردية . وعددها ثماني قصائد هي :

١ - قصيدة في رثاء سعد بن معاذ رضي الله عنه ، أولها ^(٥) :

لَقَدْ سَفَحَتْ مِنْ دَمْعٍ عَيْنُكَ عَبْرَةً وَحَقَّ لِعَيْنِي أَنْ تُفِيضَ عَلَيَّ سَعْدُ

٢ - قصيدة في رثاء عبدالله بن رواحة رضي الله عنه ، مطلعها ^(٦) :

عَيْنِي جُودًا عَلَى فَارِسٍ بِأَجْرَاعٍ مُؤْتَةً فَلَاخْرَجَ

(١) سيد حنفي ، ص : ٣٢ .

(٢) ديوان حسان بن ثابت تح سيد حنفي ، ص : ١٥٩ وتح عرفات ٣٧٦/١ .

(٣) ديوان حسان تح وليد عرفات ٣٩٨/١ وتح سيد حنفي ، ص : ١١٨ برواية : أبلغ أبا سفيان أن محمداً .

(٤) السابق تح حنفي ص : ٣١٦ وتح عرفات ٣٨٧/١ .

(٥) ديوان حسان ، تح سيد حنفي ، ص : ١١٤ وتح وليد عرفات ٤١٥/١ .

(٦) المصدر السابق تح سيد حنفي ص ١١٣ ، وتح وليد عرفات ٤١٢/١ .

قال العدوي : يقال إنها منحولة ^(١) . وهي ليست في رواية أبي عمرو الشيباني ^(٢) .

- ٣- قصيدة في هجاء أمية بن خلف ، مطلعها ^(٣) :
- قَتَلْنَا أُمِّيَّاءَ يَوْمَ بَدْرٍ عَنُوءَ وَبُعْدًا لَهُ مِنْ هَالِكٍ لَمْ يُوسَدِ
- ٤- قصيدة في هجاء عكرمة بن أبي جهل ، مطلعها ^(٤) :
- تَوَلَّى وَالْقَى لَنَا رُمْحَهُ فَلَيْتَكَ عِكْرِمَ لَمْ تَفْعَلْ
- ٥- قصيدة في هجاء بني لحيان ، أولها ^(٥) :
- لَحَا اللَّهُ لِحْيَانًا فَلَيْسَ دَمَاؤُهُمْ لَنَا مِنْ قَتِيلِيْ غَدْرَةٍ يَوْفَاءِ
- ٦- قصيدة في هجاء أمية بن خلف أو صفوان بن أمية ، مطلعها ^(٦) :
- وَاللَّهِ مَا أَوْصَى أُمِّيَّةٌ يَكْرَهُ بِوَصِيَّةٍ أَوْصَى بِهَا يَعْقُوبُ

ومما يعزز الشك في هذه القصيدة قول الدكتور وليد عرفات : " أما مناسبة هذه الأبيات فغير واضحة سواء كانت موجهة لأمية بن خلف ، وقد مات في وقعة بدر ، أو لابنه صفوان ، أو لغيرهما من جيل متأخر . وهذا قريب الاحتمال إذا نظرنا إلى غموض الأبيات الأولى ، وإلى إشارة في البيت السادس إلى بنيه ورهطه . وفي البيت السابع الإيحاء بالكفر حين نذكر أن ربيعة بن أمية ابن خلف أسلم ، ثم جلده عمر في الخمر ، فارتد وهرب إلى الروم " ^(٧) .

(١) ديوان حسان ، تحسيد حنفي ، ص : ١١٣ .

(٢) سيد حنفي ، ص : ٣٢ .

(٣) ديوان حسان ، تحسيد حنفي ص : ١٩٩ وتحوليد عرفات ٤١٧/١ .

(٤) ديوانه تحسيد حنفي ص ٢٦١ .

(٥) السابق تحسيد حنفي ، ص : ٢٥٩ وتحوليد عرفات ٤٠٦/١ .

(٦) نفسه تحسيد حنفي ص : ٢٨٤ وتحوليد عرفات ١٥١/١ .

(٧) وليد عرفات ، ديوان حسان ١٣١/٢ .

٧ - قصيدة في مدح الزبير رضي الله عنه ، مطلعها ^(١) :

أَقَامَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ وَهَدْيِهِ حَوَارِيَهُ وَالْقَوْلُ بِالْفِعْلِ يَعْدِلُ

٨ - قصيدة في يوم الفضاء ^(٢) في الرد على قيس بن الخطيم ^(٣) مطلعها ^(٤) :

لَقَدْ هَاجَ نَفْسَكَ أَشْجَانُهَا وَعَاوَدَهَا الْيَوْمَ أَدْيَانُهَا

ثالثاً : ما شك فيه ابن هشام :

بذل ابن هشام جهداً كبيراً في تنقية الشعر الذي أورده ابن إسحاق في السيرة النبوية ، من خلال منهجه النقدي الذي " تحرّى فيه الدقة والأمانة ، وأبدى قدراً كبيراً من التحوُّط والحذر " ^(٥) . والذي كان من أبرز معالمه أنه " ترك الأشعار التي ضجّ العلماء بزيّفها ، واحتج الرواة الأثبات على وضعها ، وأبقى على الأشعار التي صحت عنده نسبتها " ^(٦) .

والقصائد التي يستبعدّها البحث من شعر حسان الذي شك فيه ابن هشام هي :

١ - القصيدة التي مطلعها ^(٧) :

أَشَاقَكَ مِنْ أُمِّ الْوَلِيدِ رُبُوعُ بِلَاقِعُ مَا مِنْ أَهْلِهِنَّ جَمِيعُ

(١) ديوان حسان تح حنفي ص : ٢٩٤ وتح عرفات ٤٣٣/١ .

(٢) يوم الفضاء من أيام الأوس والخزرج في الجاهلية . انظر ديوان حسان تح حنفي ص : ٣٠٩ - ٣١٤ .

(٣) يكنى بأبي يزيد ، أحد بني ظفر الأوسيين ، شاعر جاهلي ، دار شعره حول الفخر والبهجة يتبادلها مع

حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة . هلك سنة ٦٢٠ م . انظر : تاريخ التراث العربي م ٢ ، الشعر ،

ج ٢ ، العصر الجاهلي ص / ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(٤) ديوان حسان تح حنفي ص : ٣١٣ وتح عرفات ٢٣٩/١ .

(٥) إسماعيل أحمد العالم ، منهج ابن هشام في رواية شعر السيرة ، دراسات (مجلة علمية متخصصة ومحكمة

تصدر عن الجامعة الأردنية) عمادة البحث العلمي ، عمان ، المجلد الخامس عشر ، رجب ١٤٠٨ هـ /

آذار ١٩٨٨ م ، العدد الثالث ، ص : ٢٧ .

(٦) المصدر السابق ، ص : ٢٦ .

(٧) ديوان حسان تح حنفي ، ص : ٩٧ وتح عرفات ٣٣٧/١ .

قال ابن هشام : " وبعض أهل العلم بالشعر ينكرهما لحسان وابن الزبير ^(١) " يريد هذه القصيدة ، ونقيضتها .

٢- القصيدة التي مطلعها ^(٢) :

يَا عَيْنُ جُودِي يَدْمَعُ مِنْكَ مُنْسَكِبٌ وابكي حُبِيئاً مَعَ الْغَادِينَ لَمْ يُؤْبِ
علق عليها ابن هشام قائلاً : " وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان " ^(٣) مع العلم بأن ابن حبيب توقف في إملائها ، ولكن السكري نقلها من كتاب أستاذه ^(٤) .

٣- القصيدة التي مطلعها ^(٥) :

مَا بَالُ عَيْنِكَ لَا تَرْقَا مَدَامِعُهَا سَحًا عَلَى الصَّدْرِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ الْقَلِقِ
اتهمها ابن هشام ، فقال فيها وفي التي قبلها " وبعض أهل العلم بالشعر ينكرهما لحسان " ^(٦) .

٤- القصيدة التي يعدد فيها قائلها أيام الأنصار مع رسول الله ﷺ ويذكر مواطنهم معه في أيام غزوه ، ومطلعها ^(٧) :

أَلَسْتُ خَيْرَ مَعَدٍ كُلِّهَا نَفْرًا وَمَعَشَرًا إِنْ هُمُ عُمُوا وَإِنْ حُصِلُوا
شك ابن هشام في نسبتها إلى حسان ، فقال : " وتروى لابنه عبدالرحمن بن حسان " ^(٨) . وشك فيها من المعاصرين الدكتور عبدالله الحامد ، فقال : " إنها بشعر ابنه عبدالرحمن أشبه " ^(٩) .

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ١٥١/٣ .

(٢) ديوان حسان ، تح حنفي ، ص : ٢٢٥ وتح عرفات ٣٧٠/١ .

(٣) ابن هشام ١٨٧/٣ .

(٤) سيد حنفي ، ص : ٣٢ .

(٥) ديوان حسان ، تح حنفي ، ص : ٣٠٧ وتح عرفات ٢١٣/١ .

(٦) ابن هشام ١٨٧/٣ .

(٧) ديوان حسان تح حنفي ، ص : ٣٩٤ وتح عرفات ٥٠٢/١ .

(٨) ابن هشام ١٩٩/٤ .

(٩) د. عبدالله الحامد ، الشعر الإسلامي في صدر الإسلام ، ص : ٢٧٩ .

٥ - القصيدة التي يرثي فيها قائلها حمزة رضي الله عنه ، ومن أصيب من أصحاب رسول الله ﷺ يوم أحد ، ومطلعها ^(١) :
يَا مَيِّ قُومِي فَاذْدُبِي بِسُحَيْرَةِ شَجْوِ النَّوَاحِ
اتهمها ابن هشام ، فقال : " وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان " ^(٢) .
رابعاً : ما كشف عنه العدوي :

للعدي جهد واضح في تنقية شعر حسان مما دخله من الشوائب ، فقد كشف عن كثير من شعره الموضوع ، واتبع في ذلك منهجين : منهجاً يعتمد على نقد النصوص نقداً خارجياً ، يتمثل في تفضيل بعض الرواة على ابن الأعرابي ، واتهام بعض مروياته ؛ ومنهجاً يعتمد على النقد الداخلي الذي يقوم على تتبع أثر الخصومات السياسية بين بطون قريش فيما وضع على حسان من أشعار ^(٣) .
وقد تميزت النسخة التي قرئت على العدوي بأنها تضم كثيراً من أشعار حسان المنحولة التي " لم يروها ابن حبيب ، ولم يجدها السكري في كتاب أستاذه " ^(٤)
والقصائد الموضوعية التي كشف عنها العدوي ، هي :

١ - قصيدة في مدح النبي ﷺ مطلعها ^(٥) :
وَكَوَى بِمَكَّةَ بَضْعَ عَشْرَةِ حِجَّةٍ يُذَكِّرُ لَوْ يَلْقَى صَدِيقاً مُوَاتِيَا
اتهمها العدوي ، ونسبها إلى صرمة بن أنس الأنصاري أحد بني عدي ابن النجار ^(٦)

(١) ديوان حسان تح حنفي ، ص : ٣٧٤ وتح عرفات ٤٥٠/١ . برواية : فاندُينُ سُحْرَةٍ .

(٢) ابن هشام ١٦٣/٣ .

(٣) انظر سيد حنفي ، ص : ٣٢ .

(٤) سيد حنفي ، السابق .

(٥) ديوان حسان تح حنفي ، ص : ١٤١ وتح عرفات ٩٤/١ .

(٦) انظر : ديوان حسان تح حنفي ص ١٤٠ ومقدمة حنفي ص : ٣٣ .

وشك فيها ابن عبدالبر^(١) ، وابن حجر العسقلاني^(٢) ، أيضاً فنسبها إلى صرمة المذكور .

٢- قصيدة في رثاء ربيعة بن مكدم ، مطلعها^(٣) :
وَلَأَصْدُقَنَّ إِلَى حَدِيثَةٍ مِدْحَتِي لِفَتَى الْيَسَارِ وَفَارِسِ الْأَجْرَافِ
يسوقها سيد حنفي ضمن ما كشف عنه العدوي من شعر حسان الموضوع^(٤) ،
وجاء في ديوان حسان بتحقيق حنفي في ذكر مناسبتها " قال رجل من بني الحارث بن
الخنزرج يرثي ربيعة بن مكدم "^(٥) . ووردت هذه العبارة في الأغاني^(٦) . ونقل أبو
عبيدة زعم أبي الخطاب الأخفش أنها لحسان ابن ثابت يحض على قتلة ربيعة بن
مكدم^(٧) .

وقال الأثرم : أنشدنا أبو عبيدة هذه القصيدة مرةً لقيس بن الخطيم في قاتل
أبيه^(٨) .

٣- قصيدة مطلعها^(٩) :
لِعَمْرَةٍ بِالْبَطْحَاءِ بَيْنَ مَعْرِفٍ وَبَيْنَ نَظَاةٍ مَسْكَنٍ وَمَحَاضِرٍ

(١) انظر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر ، (بذيل الإصابة تحقيق طه الزيني ، الطبعة الأولى ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م . نشر مكتبة الكليات الأزهرية ، ج ٥ : ص ١٧٥ .

(٢) انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر العسقلاني (شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن علي) ، نشر
مكتبة الكليات الأزهرية ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م ج ٥ : ص ١٣٦ .

(٣) ديوان حسان تح حنفي ، ص : ٣٩٢ وتح عرفات ٤٩٦/١ .

(٤) سيد حنفي ، ص : ٣٥ .

(٥) ديوان حسان تح حنفي ، ص : ٣٩١ .

(٦) أبو الفرج الأصفهاني ، الأغاني ١٤/ ١٣٢ و ١٦/ ٥٩ .

(٧) ديوان حسان تح عرفات ٤٩٦/١ وتح حنفي ، ص : ٣٩١ .

(٨) المصدر السابق تح حنفي ، ص : ٣٩١ .

(٩) ديوان حسان تح حنفي ، ص : ٣٠٣ وتح عرفات ١٩٤/١ .

اتهمها العدوي^(١) ، وقال : " وقد تروى لسعد بن الحصين أحمد بن الحارث بن الخزرج " ^(٢) . وتروى لبشير بن سعد أبي النعمان ^(٣) .
٤ - قصيدة مطلعها ^(٤) :

وَمَعْرُوفِ الْعُلَلَةِ مُسْتَكِينٌ لَوْ قَعِ الْكَأْسُ مُخْتَلِسِ الْبَيَانِ
شكك فيها العدوي^(٥) ، وقال : " ويروى للأخطل " ^(٦) . " وهي تناسب أن تكون للأخطل لا لحسان ، إذ تدور على وصف الخمر ينشدها غير مسلم لأنه يقسم بكل ما حجت له قريش أن يشرب الخمر في الصباح " ^(٧) .
٥ - قصيدة في رثاء الرسول ﷺ ، مطلعها ^(٨) :

يَا عَيْنُ جُودِي يَدْمَعُ مِنْكَ أَسْبَالٌ وَلَا تَمَلَنَّ مِنْ سَحٍّ وَإِعْوَالٍ
" قال العدوي : هي مصنوعة " ^(٩) . و " ليست في كتاب أبي عمرو الشيباني ، ولا كتاب ابن الأعرابي " ^(١٠) . ولم يروها ابن حبيب ، ولم يجدها السكري في كتاب أستاذه .

خامساً : ما نسبته الرواة إلى غير حسان :
أسهم علماء ثقات آخرون فضلاً عما سبق ذكرهم في الكشف عن عدد آخر من القصائد التي يشك في نسبتها إلى حسان ، ومن ذلك :

- (١) سيد حنفي ، ص : ٤١ ، ٣٤ .
- (٢) ديوان حسان ، تح سيد ص : ٣٠٣ وتح عرفات ١٩٤/١ .
- (٣) انظر : حنفي ص : ٣٤ .
- (٤) ديوان حسان تح حنفي ، ص : ٢٨٣ وتح عرفات ١٣٩/١ . برواية : وَمُسْتَرِقِ النَّخَامَةِ مُسْتَكِينِ .
- (٥) انظر : حنفي ص : ٣٤ .
- (٦) ديوان حسان ، تح حنفي ، ص : ٢٨٣ وتح عرفات ١٣٩/١ .
- (٧) حنفي ، ص : ٣٤ وليست القصيدة في ديوان الأخطل . انظر : حنفي ، ص : ٣٤ وعرفات ١٣٩/١ .
- (٨) ديوان حسان ، تح سيد ص ٢١١ وتح عرفات ٤٣٦/١ .
- (٩) المصدران السابقان . وانظر : حنفي ص : ٣٢ ، ٣٤ .
- (١٠) المصدران السابقان ، وفي الطبقات الكبرى لابن سعد ٩٢/٢ من رواية أبي عمرو الشيباني .

١ - قصيدة مطلعها ^(١) :

وَسَالَ رَسُولُ اللَّهِ وَالْحَقُّ لَازِمٌ لِمَنْ سَارَ مَتًا : مَنْ تُسَمُّونَ سَيِّدًا ؟
وردت في الاستيعاب منسوبة إلى شاعر الأنصار ^(٢) ، وفي الإصابة إلى بعض
الأنصار ^(٣) .

٢ - قصيدة مطلعها ^(٤) :

إِنَّ شَرَّخَ الشَّبَابِ وَالشَّعَرَ الْأَسْوَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا
تنسب إلى عبدالرحمن بن حسان ^(٥) . وينسب بعض أبياتها إلى ابن ميادة ^(٦)
(ت ١٣٦ هـ / ٧٥٤ م) .

٣ - قصيدة أولها ^(٧) :

مُسْتَشْعِرِي حَلَقِ الْمَآذِي يَقْدُمُهُمْ
تروى لعبدالله بن الحارث السهمي ^(٨) .

٤ - قصيدة مطلعها ^(٩) :

كَمْ لِلْمَنَازِلِ مِنْ شَهْرٍ وَأَحْوَالٍ كَمَا تَقَادَمَ عَهْدُ الْمُهْرَقِ الْبَالِي

(١) ديوان حسان ، تح حنفي ، ص : ٣٨٢ وتح عرفات ١/٤٦٠ .

(٢) الاستيعاب ٨/٢٩٢ - ٢٩٣ .

(٣) الإصابة ٧/٩٦ .

(٤) ديوان حسان تح حنفي ، ص : ٢٨٢ وتح عرفات ١/٢٣٦ .

(٥) أبو عمرو الجاحظ ، الحيوان ٣/١٠٨ .

(٦) المصدر السابق ٦/٢٤٤ وانظر حنفي ، ص : ٣٧ وديوان حسان تح عرفات ١/٢٣٧ وابن ميادة : هو

الرماح بن الأبرد بن ثوبان الذبياني . وميادة أمه سكن الحجاز ونجد ، وأكثر شعره في الغزل والهجاء .

وهو آخر من يحتج بشعرهم . انظر : تاريخ التراث العربي ، م ٢ ، ج ٣ ، الشعر ، ص : ٢٠٥ - ٢٠٦ .

(٧) ديوان حسان ، تح حنفي ، ص : ٢٤٢ وتح عرفات ١/١٢٨ .

(٨) ابن هشام ٣/٢٠ وانظر ، حنفي ، ص : ٢٩ وديوان حسان تح عرفات ١/١٢٨ .

(٩) ديوان حسان تح حنفي ، ص : ١٤٦ وتح عرفات ١/٣١٤ .

تنسب بعض أبياتها إلى حية بن خلف الطائي^(١) . "ولعل سائر القصيدة أيضاً لحية في الأصل ، أو لشاعر آخر ، ثم نسب إلى حسان ، ذلك لأن ما في القصيدة من وصف لصعلوك فقير وإن كرم خلقه لا يتفق وما نعرف عن حسان من اليسر والسعة والاعتزاز بمقامه في قومه"^(٢) .

٥ - قصيدة في الفخر وهجاء ابن الزبير ، مطلعها^(٣) :

مَنَعَ التَّوَمَ بِالْعِشَاءِ الْهُمُومُ وَخَيَالٌ إِذَا تَغَوَّرَ النُّجُومُ

ثمة شكوك تحيط بمقدمتها ، وبعض أبياتها . فقد جاء في إحدى نسخ الديوان المخطوطة ، في التعليق على البيت العاشر منها : "إلى ها هنا قال حسان في الجاهلية ثم قال الباقي في الإسلام"^(٤) .

وأورد عبدالقادر البغدادي في تعليقه على البيت الثالث عشر :

لَا تَسْبِنَنِي فَلَسْتُ بِسَبِي إِنَّ سَبِيَّ مِنَ الرِّجَالِ الْكَرِيمِ

"زعم الأسود أبو محمد أنّ هذا البيت وما بعده ، لعبدالرحمن بن حسان يهجو مسكين بن عامر الدارمي"^(٥) .

(١) ابن قتيبة ، أبو محمد عبدالله بن مسلم الدينوري ، عيون الأخبار ، طبع دار الكتب المصرية نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م ج١ ص ٢٤٧ وابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفرقي المصري ، لسان العرب ، دار صادر ، بيروت (طبخ) . وانظر : حنفي ، ص : ٣٦ .

(٢) وليد عرفات ، ديوان حسان ٣١٥/١ .

(٣) ديوان حسان ، تح حنفي ص ٨٠ وتح عرفات ٤٠/١ .

(٤) سيد حنفي ، ديوان حسان ، ص : ٨٩ (الهامش) نقلاً عن المخطوطة (أ) وهي مخطوطة الديوان الأم ، برواية ابن حبيب والأثرم وشرح العدوي ، (معهد المخطوطات رقم ٢٥٣٤) ، حنفي ، ص : ٥٨ .

(٥) عبدالقادر البغدادي ، خزانة الأدب ، القاهرة ، ١٢٩٩هـ ج٤ ص ٤٦٣ . وانظر ديوان حسان تح حنفي ص ٨٩ .

وورد في (السيرة النبوية) بعد هذا البيت بيت آخر ، يقول فيه محمد محيي الدين عبد الحميد : إن هذا البيت سقط من بعض أصول الكتاب ^(١) . والبيت هو :

إِنَّ دَهْرًا يَبُورُ فِيهِ ذُو الْعِلِّ (م) م لَدَهْرٍ هُوَ الْعَتْلُ الزَّيْمُ

وعلق محقق ديوان حسان على ذلك قائلاً : " وواضح أن هذا البيت ليس لحسان لعلّة ظاهرة فيه حيث يتحدث عن بوار العلم ، وربما كان واضعه من الشعراء المتأخرين " ^(٢) .

وقد نسب البيت نفسه في (اللسان) إلى عبدالرحمن بن حسان ، يهجو مسكيناً الدارمي ^(٣) .

٦ - قصيدة في رثاء عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أولها ^(٤) :

مَنْ سَرَّهُ الْمَوْتُ صِرْفًا لَا مِزَاجَ لَهُ فُلَيَّاتٍ مَأْسَدَةٍ فِي دَارِ عُثْمَانَ

شك فيها ابن عبد البر ، فقال " زاد أهل الشام فيها أبياتاً لم أر لذكرها وجهاً " ^(٥) .

وعلق على البيت التاسع :

ضَحُوا بِأَشْمَطَ عَنَّا السَّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اللَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا

قائلاً : " وهذا البيت يختلف فيه ، ينسب إلى غيره ، وقال بعضهم هو لعمران ابن حطان " ^(٦) .

ومن الأبيات التي يتهمة الدكتور عبدالله الحامد ويرى أنها زيدت على حسان لأسباب سياسية " أراد بها الأمويون كما يبدو غسل عار الصقة بهم حسان في

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، تح محمد محيي الدين عبد الحميد ، القاهرة ١٩٥٤م ج٣ ص : ١٥٦ .

(٢) سيد حنفي ، ديوان حسان ، ص : ٨٩ .

(٣) اللسان (سبب) ، وانظر : وليد عرفات ، ديوان حسان ٤٢/١ .

(٤) ديوان حسان ، تح حنفي ، ص : ٢١٥ وتح عرفات ٩٦/١ .

(٥) الاستيعاب ٥٢/٨ .

(٦) المصدر السابق ، والبيت هو الرابع في ديوان حسان تح عرفات ٩٦/١ وانظر : حنفي ، ص : ٣٧ .

هجاء أسرتهم ... وهم بذلك يجمعون بين اثنتين : غسل عار مضى ، ونصر قضية تشد من دعائم حكمهم ^(١) :

بَلْ لَيْتَ شِعْرِي وَلَيْتَ الطَّيْرَ تَحْبِرُنِي مَا كَانَ شَأْنُ عَلِيٍّ وَابْنِ عَفَّانَا
وَقَدْ رَضِيتُ بِأَهْلِ الشَّامِ زَافِرَةً وَبِالْأَمِيرِ وَبِالْإِخْوَانِ إِخْوَانَا
إِنِّي لَهُمْ وَإِنْ غَابُوا وَإِنْ شَهِدُوا حَتَّى الْمَمَاتِ وَمَا سُمِّيتُ حَسَّانَا ^(٢)

٧ - القصيدة الهزمية التي يهجو بها أبا سفيان بن الحارث ^(٣) ، ومطلعها :

عَفَّتْ ذَاتُ الْأَصَابِعِ فَالْجَوَاءُ إِلَى عِذْرَاءَ مَنْزِلِهَا خَلَاءُ

هذه القصيدة تستبعد من البحث ؛ لأنها وإن كانت إسلامية ، كما يقرر ابن هشام ^(٤) ، ومما رواه أبو عمرو الشيباني ^(٥) ، إلا أن مقدمتها قد قيلت في الجاهلية على الأرجح . وقد نبّه على هذا عدد من النقاد ، من قدماء ومحدثين :

فقد علق العدوي على البيت العاشر :

وَنَشْرُبُهَا فَتَتَرَكُنَا مُلُوكًا وَأُسْدًا مَا يُنْهِنُهَا اللَّقَاءُ

قائلاً : " قال حسان القصيدة إلى هذا الموضع في الجاهلية ثم وصلها بعد بهذا القول في الإسلام " ^(٦) .

وروى السهيلي ^(٧) (ت ٨١٠ هـ) أن حسان " مرّ بفتية يشربون الخمر في

الإسلام ، فنهاهم ، فقالوا : والله لقد أردنا تركها فزينها لنا قولك :

(١) الشعر الإسلامي في صدر الإسلام ، ص : ٢٥٦ .

(٢) ديوان حسان ، تح حنفي ، ص : ٢١٥ ونح عرفات ٩٦/١ .

(٣) السابق ، تح حنفي ، ص : ٧١ ونح عرفات ١٧/١ .

(٤) السيرة النبوية ٦٦/٤ .

(٥) ديوان حسان تح حنفي ، ص : ٧٣ وانظر تح عرفات ١٩/١ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) هو أبو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي توفي سنة ٨١٠ هـ .

ونشربها فتركنا ملوكاً ... البيت ، فقال : والله لقد قلتها في الجاهلية ، وما شربتها منذ أسلمت " (١) .

ثم يعقب السهيلي على هذا الخبر ، فيقول : " وكذلك قيل : إن بعض هذه القصيدة قاله في الجاهلية ، وقال آخرها في الإسلام " (٢) . فجمع الرواة بين شطريها لاتفاقهما في الوزن والقافية ، وأثبتوهما في ديوانه على أنه قصيدة واحدة . ويؤكد ذلك من المعاصرين الأستاذ محمد خلف الله أحمد (٣) . كما يؤكد الدكتور يحيى الجبوري حين يقول : " ويبدو أنّ المطلع ووصف الخمرة كان مما قاله حسان في الجاهلية ، ثم نظم في الفتح قصيدته التي تبدأ بقوله :

عَدِمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّفْعَ مَوْعِدُهَا كِدَاءُ

ثم رأى الرواة اتفاق القصيدتين في البحر والقافية ، فظنوهما قصيدة واحدة ، فرويت بالشكل الذي أثبت في ديوانه " (٤) .

ويبدو أن شكوك النقاد لم تقتصر على مقدمة هذه القصيدة ، بل امتدت إلى أجزاء أخرى منها ، فقد شكك السهيلي في أبيات منها فضلاً عن مقدمتها ، فقال : " روى هذه القصيدة أبو عمرو الشيباني ، وزاد فيها أبياتاً هي :

وَهَاجَتْ دُونَ قَتْلِ بَنِي لُؤَيٍّ جَذِيمَةً إِنْ قَتَلْتَهُمْ شَفَاءُ
وَحَلَفَ الْحَارِثُ بْنُ أَبِي ضَرَارٍ وَحَلَفَ قَرِظَةٌ فِينَا سَوَاءُ
أَوْلَئِكَ مَعِشْرُ أَلْبُوا عَلَيْنَا فَفِي أَظْفَارِنَا مِنْهُمْ دِمَاءُ

(١) الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام ، القاهرة ١٩١٤م ج٢ ص ٢٨٠ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) دراسات في الأدب الإسلامي ، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م ، ص : ٥٧ .

(٤) شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، مؤسسة الرسالة ، ط ٢ سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م ، ص : ٢٨٦ - ٢٨٧ .

سنبصرُ كيف نفعل بآبن حربٍ بمولانا الذين هم الرداء" ^(١)
 كما شك السهيلي في البيت السابع :
 على أُنْيائها أو طَعْمَ عَضٍ من الثُّفاح هَصَرَهُ اجْتِنَاءُ
 بانياً شكه على أساس فني ، فقال معلقاً عليه : " البيت موضوع لا يشبه شعر
 حسان ولا لفظه " ^(٢) .

وقد دفعت هذه الشكوك وغيرها ^(٣) الدكتور وليد عرفات محقق ديوان
 حسان إلى أن يقرر أن " دارس القصيدة يجد أنها تتألف من جزئين اثنين ، وأن
 بعضها قيل في مناسبات متأخرة في الزمن ولا علاقة لها بفتح مكة " ^(٤) .
 وإذا كان النقاد القدماء والمعاصرون قد نبهوا على شيء من تفكك القصيدة
 وتباين أجزائها ^(٥) ، فإن إجماعهم يكاد ينعقد على أن مقدمتها جاهلية ، لا لما
 ذكر آنفاً من أخبار ونقول فحسب ، بل لما ورد فيها أيضاً من ذكر مواضع شامية
 كان حسان يلم بها في زيارته المتكررة إلى بلاط الغساسنة ، وما جاء فيها من
 التغني بالخمر والحنين إليها ؛ ولأنه من المستبعد أن يلتفت حسان إلى شيء من
 ذلك في يوم فتح مكة ، وهو يوم له جلاله الديني ؛ لأنه يوم انتصار الإسلام على
 الكفر ^(٦) . ومع ذلك فالأولى استبعادها من البحث لما يحيط بها من شكوك ، ولما
 دخلها من وضع .

(١) الروض الأنف ٢/٢٨١ والأبيات عدا الأول في ديوان حسان تح حنفي ص ٧٦-٧٧ ونحو عرفات ١/١٨ .

(٢) الروض الأنف ٢/٢٨٠ وذكر ذلك وليد عرفات ، ديوان حسان ٧/٢ .

(٣) انظر : وليد عرفات ، ديوان حسان ١٢/٢-١٣ .

(٤) المرجع السابق ٥/٢ .

(٥) المرجع السابق .

(٦) انظر : يحيى الجبوري ، شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، ص : ٢٨٦ .

سادساً : ما شك فيه المعاصرون :

وردت فيما سبق إشارات إلى جهود بعض الباحثين المعاصرين في تنقية شعر حسان مما دخله من شوائب الوضع ، ولكنها في الغالب متصلة بقصائد سبقهم القدماء إلى الشك فيها ، وسأقصر الحديث هنا على القصائد التي لم يسبق المعاصرين إلى الشك فيها أحد ، وهي :

١- قصيدة أولها ^(١) :

أَعْرِضْ عَنِ الْعَوْرَاءِ إِنَّ أَسْمِعَتْهَا وَأَقْعُدْ كَأَنَّكَ غَافِلٌ لَا تَسْمَعُ
اتهمها سيد حنفي بنقد داخلي ^(٢) ، وقال إنها " وصية طويلة كلها حكم وعظات مما يخالف طوابع حسان في شعره " ^(٣) .

٢- قصيدة مطلعها ^(٤) :

قَدْ تَعَفَى بَعْدَنَا عَاذِبُ مَا بِهِ نَادٍ وَلَا قَارِبُ
شك فيها سيد حنفي ^(٥) ، محقق الديوان ، لأن مطلعها " غزل خالص شبيه بالغزل الإسلامي " ^(٦) ، ولعله يريد أنه شبيه بغزل الحجازيين في العصر الأموي .

٣- قصيدة يرثي فيها قائلها جعفرأ رضي الله عنه ، ومطلعها ^(٧) :

تَأْوِينِي لَيْلٌ يَبْثِرُ بَاعْسَرُ وَهُمْ إِذَا مَا نَوَّمَ الْقَوْمَ مُسْهَرُ
يَتهمها سيد حنفي بنقد داخلي ^(٨) ، وكأنما صنعها العباسيون في أول عهدهم بالخلافة لتقرير حقهم فيها " ^(٩) .

(١) ديوان حسان تح حنفي ، ص : ٢٧٨ وتح عرفات ٣٤٠/١ .

(٢) سيد حنفي ، ص : ٤١ .

(٣) السابق ، ص : ٣٩ .

(٤) ديوان حسان ، تح حنفي ، ص : ٢٨١ وتح عرفات ٢٨٢/١ .

(٥) سيد حنفي ، ص : ٤١ .

(٦) السابق ، ص : ٣٩ .

(٧) ديوان حسان ، تح حنفي ، ص : ٢٢٣ وتح عرفات ٩٨/١ .

(٨) سيد حنفي ، ص : ٤١ .

(٩) السابق ، ص : ٣٩ .

٤ - قصيدة في رثاء جعفر رضي الله عنه ، أولها ^(١) :
 وَلَقَدْ بَكَيْتُ وَعَزَّ مَهْلِكُ جَعْفَرٍ حِبِّ النَّبِيِّ عَلَى الْبَرَّةِ كُلِّهَا
 متهمة بنقد داخلي ^(٢) فني يتعلق بالأسلوب ، لظهور الضعف والركاكة فيها ،
 وتعلق الأبيات بعضها ببعض مما لا يتناسب مع أساليب حسان ، كما أنه بعيد عن
 ذوقه الفني ^(٣) .

٥ - قصيدة أخرى في رثاء حمزة رضي الله عنه مطلعها ^(٤) :
 أَتَعْرِفُ الدَّارَ عَفَا رَسْمَهَا بَعْدَكَ صَوْبُ الْمُسْبِلِ الْهَاطِلِ
 شك فيها سيد حنفي ^(٥) ، لظهور ركاكة الأسلوب وضعف التركيب في أجزاء
 منها ^(٦) .

٦ - قصيدة يهجو بها قائلها بني سهم وعمرو بن العاص رضي الله عنه ،
 وأولها ^(٧) :

لَا طَتْ قُرَيْشٌ حِيَاضَ الْمَجْدِ فَافْتَرَطَتْ سَهْمٌ فَأَصْبَحَ مِنْهُ حَوْضُهَا صَفِيراً
 شك فيها وليد عرفات محقق ديوان حسان ، فقال : " ولعلّ القصيدة من شعر
 متأخري الأنصار من ولد حسان أو غيرهم ، وهذا قد يفسر التهديد بنش الأموات
 من قبورهم " ^(٨) .

(١) ديوان حسان تح حنفي ، ص : ٢٢٢ وتح عرفات ٣٢٣/١ .

(٢) سيد حنفي ، ص : ٤١ .

(٣) السابق ، ص : ٣٩ .

(٤) ديوان حسان تح حنفي ، ص : ٢١٩ وتح عرفات ٣٢١/١ .

(٥) سيد حنفي ، ص : ٤١ .

(٦) السابق ، ص : ٣٨ .

(٧) ديوان حسان تح حنفي ، ص : ٣٤٢ وتح عرفات ٣٤٦/١ .

(٨) وليد عرفات ، ديوان حسان ٢/٢٤٩ .

٧- قصيدة في رثاء الرسول ﷺ ، مطلعها^(١) :

بَطِيئَةً رَسَمَ لِلرُّسُولِ وَمَعَهْدُ مُنِيرٍ وَقَدْ تَغْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمَدُ

شك وليد عرفات في نسبتها إلى حسان ، وقال : " والأرجح أنَّ القصيدة لشاعر متأخر زار الحرم "^(٢) ، هذا فضلاً عن أنَّ البيتين ١٨ ، ٣٦ وردا في (عيون الأثر) غير منسوبين^(٣) .

سابعاً : ما شك فيه الباحث :

ومما لا يطمئن الباحث إلى نسبته إلى حسان القصيدة التي مطلعها^(٤) :

أَنْسِيْمُ رِيْحِكَ أَمْ خِيَارِ الْعَنْبَرِ يَا هَذِهِ أَمْ رِيْحُ مِسْكِ الْأَذْفَرِ

وهي قصيدة في الفخر تقع في أحد عشر بيتاً . وقد قدّم لها الشاعر بمقدمة غزلية شبه فيها ريح حبيته برائحة العنبر ، ثم بأريج المسك الأذفر ، ثم طلب إليها أن تهيب بطيفها أن يصد نيران الأسى عن لفح أحشائه ، قبل أن تهجره ، وأن تمنع سهام عينيها أن تصيب مقاتله . ثم أخذ في الفخر بالأنصار الذين اقتحمت خيولهم إيوان كسرى ، وسلبت قيصر تاجه وصولجانه ، واجتازت بالمجاهدين باب الدرب إلى بني الأصفر .

والتأمل في هذه القصيدة يجد أنها لا تشبه شعر حسان من حيث الأسلوب والروح والمعاني ، ففيها رقة لا نعهد لها في مقدمات حسان الغزلية ، وفي فخرها معان ليست مما يذهب إليه ، ومقدمتها الغزلية شبيهة بشعر الحجازيين في العصر الأموي . والفخر فيها يختلف عن فخر حسان الذي يدور عادة حول الإيواء

(١) ديوان حسان نوح حنفي ص : ٣٧٧ ونحو عرفات ٤٥٥/١ .

(٢) وليد عرفات ٤٥٧/١ .

(٣) ابن سيد الناس (محمد بن محمد الشافعي الأندلسي) ، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ط ٢

دار الجليل - بيروت ١٩٧٤ م ، ج ٢ ص ٣٤١ .

(٤) ديوان حسان نوح حنفي ص : ٣٨٧ .

والنصرة ، ونزول الوحي بين بيوت الأنصار ، وهزيمة الشرك والوثنية في معارك الإسلام الأولى ؛ لأنه فخر بالفتوح والإطاحة بعروش الأكاسرة والقيصرة . وهو ما لا نعرفه عند حسان .

ومما يعزز الشك في هذه القصيدة أنها ليست من قصائد الديوان الذي حققه سيد حنفي ، وإنما هي من إضافات الديوان ، نقلها المحقق عن سمط اللآلي^(١) ونهاية الأرب^(٢) .

ولم يرد منها في الديوان الذي حققه وليد عرفات سوى بيتين علق عليهما المحقق بأن البرقوقي نقلهما من بعض كتب الأدب^(٣) . وأضاف أنهما وردا مع بيتين آخرين مثلهما في أمالي القالي دون نسبة ، وأنهما في شرح الأمالي للبكري منسوبان إلى المولى محمد بن عبدالله بن مسلم مولى بني عمرو بن عوف ، من شعراء الدولتين^(٤) . وذكر أن التوحيدي نسبهما في (البصائر) إلى صاحب الزنج^(٥) . ولهذا كله تستبعد القصيدة من البحث .

ولعله قد تبين مما سبق أن الرواة ، والمؤلفين ، والنقاد القدماء والمعاصرين ، قد بذلوا جهوداً ضخمة لتصفية شعر حسان رضي الله عنه ، مما لحقه من شوائب الوضع والانتحال ، وأسباب الخلط والاضطراب .

فكان لا بد لنا من إلقاء الضوء على تلك الجهود ، قبل الشروع في دراسة مقدمات قصائده ، لاستبعاد القصائد التي تحيط بها الشكوك والإبقاء على تلك صحت نسبتها إليه ، حتى تبني الدراسة على أساس سليم ، ومقدمات صحيحة .

(١) البكري ، ٢٧٨ ، القاهرة ١٩٣٦ م .

(٢) النويري ٢٠٣/٣ .

(٣) ديوان حسان نحو عرفات ٤٨٢/١ .

(٤) السابق .

(٥) السابق .

المحور الثالث : صور مقدماته الإسلامية :

تبلغ قصائد حسان الإسلامية خمساً وسبعين قصيدة ، تمثل ٨٣,٣٣٪ من قصائده الصحيحة النسبة إليه .

والغالبية العظمى من هذه القصائد خلت من المقدمات ، وهي تدور حول الفخر ، والهجاء ، ومناقضة شعراء المشركين . وعددها تسع وستون قصيدة ، تشكل ٩٢٪ من قصائده الإسلامية . على حين لا يبلغ عدد قصائده الإسلامية ذوات المقدمات سوى ست قصائد ، تمثل ٨٪ من مجموع قصائده الإسلامية . ولهذا الأمر دلالة قوية على موقف حسان من المقدمة التقليدية للقصيدة العربية في صدر الإسلام .

والتأمل في مقدمات هذه القصائد الست يجد أنها تنحصر في ثلاث صور :

الصورة الأولى : المقدمة الغزلية المنفردة :

وقد قدّم حسان بهذه الصورة من مقدماته لقصيدتين من قصائده الإسلامية :

الأولى : قصيدته الميمية التي يهجو فيها الحارث بن هشام المخزومي ، ويعيره بالفرار والهزيمة يوم بدر ، ومطلعها^(١) :

تَبَلَّتْ فُؤَادَكَ فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةٌ تَشْفِي الضَّجِيعَ بِيَارِدِ بَسَامِ

وتقع مقدمتها في سبعة أبيات ، ذكر فيها أنه مقيم بحب فتاة حسناء ناعمة ، ذات حياة وخفر ، قد فتنته بجمال ثغرها النقي البسام ، ورؤسائها الذي يتضوع منه عبير المسك الممزوج بماء المزن النقي ، وله طعم الخمر المعتقة الحمراء ؛ إنها فتاة مكتملة

(١) نفسه نحد حنفي ، ص : ١٠٧ ونحد عرفات ٢٩/١ والخريدة : الحية الساكنة . والبوص : العجيزة

والأقسام : الأيمان ، والبلهاء : العفيفة الغفول عن الشر والقطن : ما بين الوركين ، شبه مأكمها في

اكتنازها وملاستها بالرخام . والخرعة : اللينة . والخرعب : الفصن اللين المتشني . توزعني : تولعني .

أوزعته بالشيء أغريته به . ونفج الحقيية : ضخمة الأرداف . أجم : ممتلئ باللحم غائب العظام .

والمداك : الذي يسحق عليه الطيب ، وفضلاً : إذا قعدت متفضلة ، أي في ثوب واحد .

الخلق ، ذات ردفين ممتلئين ، وعجيزة مرتفعة ؛ وساقين مكتنزين أملسين كالرخام وقد غض ، وقوام لين ، كأنه غصن نديّ ، مباد .

وهي فضلاً عن ذلك مخدومة مكفولة الحاجات ، ليست بحاجة إلى مزاوله أعمال المنزل ؛ لأن هناك من يكفيها ، فتراها تتأود متكاسلة إذا قامت من نومها . لقد ملك حب هذه الخريدة عليه فؤاده ، وملأ وجدانه ، فهو لا يفتأ يذكرها طوال نهاره ؛ فإذا أوى إلى فراشه ليلاً طرقة طيفها . ويختم حسان هذه المقدمة بالقسم أنه لن ينسى هاتيك الفاتنة ، أو يكف عن ذكرها ، حتى يوارى جسده التراب . يقول حسان بعد المطلع :

كَالْمِسْكِ تَخْلِطُهُ بِمَاءِ سَحَابَةٍ	أَوْ عَاتِقِ كَدَمِ الدِّيْحِ مُدَامٍ
تُفْجُ الْحَقِيقَةَ بُوصُهَا مَنَاضِدٌ	بَلْهَاءُ غَيْرُ وَشَيْكَةِ الْأَقْسَامِ
بُنِيَتْ عَلَى قَطْنٍ أَجَمٍّ كَأَنَّهُ	فُضْلاً إِذَا قَعَدَتْ مَدَاكُ رُخَامٍ
وَتَكَادُ تَكْسِلُ أَنْ تَقُومَ لِحَاجَةٍ	فِي لَيْلٍ خَرَعَبَةٍ وَحُسْنِ قَوَامٍ
أَمَّا النَّهَارُ فَلَا أَفْتَرُ ذِكْرَهَا	وَاللَّيْلَ تُوزِعُنِي بِهَا أَحْلَامِي
أَفْسَمْتُ أَنْسَاهَا وَأَثْرَكَ ذِكْرَهَا	حَتَّى تُغَيِّبَ فِي الضَّرِيحِ عِظَامِي

لم يذكر حسان اسم فاتنته هذه ، وإن أظن في وصف محاسنها الجسدية وفصل ؛ ولم يغفل صفاتها النفسية المعنوية ، كما لم ينس التعبير عن مشاعره وأحاسيسه نحوها .

وتغلب الصفات الحسية في هذه المقدمة على الصفات المعنوية ، وقد بدا فيها حسان مقبلاً على الحياة ، مشغولاً بتتبع أعضاء هذه الفاتنة ؛ وهو قلما يفعل ذلك حتى في مقدماته الجاهلية .

على أن الجو الذي قيلت فيه القصيدة ، والجو العام للمرحلة التي كانت الدعوة الإسلامية تمرّ بها ، وتقدم سنّ حسان ، وقربه من الرسول صلى الله عليه وسلم ؛ وتغير مفاهيمه في ضوء الإسلام ، كل ذلك كان يحتم عليه ألاّ ينحو هذا المنحى في مقدماته .

فهل كان ذلك أثراً من إحساس حسان بأهميته في المرحلة القادمة ، مما جعله يعبر عن إقباله على الحياة هذا الإقبال الذي تعبر عنه أوصافه الحسية التي تضمنتها مقدمته السابقة ؟

ومهما يكن من أمر فإنّ فتاته على الرغم من أنها تتوافر فيها منظومة الصفات الجسدية التي تشكل قيم الجمال النسوي في عصر حسان ، لا تخلو من ملامح إسلامية من وحي المرحلة التي نظمت فيها القصيدة .

فهي عفيفة غفول عن الشر ^(١) تلتزم بقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا ﴾ ^(٢) ، فلا تكثر من حلف الأيمان ، وهي حية خفرة سكوت مستترة خافضة لصوتها ^(٣) ، وهي عزيزة المنال على حسان وسواه في البقطة ، لا تنال إلا في المنام .

وهو لم يذكر اسمها على الرغم من أنه كان لهجاً بذكر أسماء النساء في مقدمات قصائده الجاهلية .

والثانية : قصيدته الرائية التي قالها يوم حنين حين قدّم رسول الله ﷺ بني سليم وأعطى المؤلفة قلوبهم من " قريش وقبائل العرب ، ولم يعط الأنصار شيئاً " ^(٤) ، ومطلعها ^(٥) :

(١) جاء في لسان العرب (بله) : البله : الغفلة عن الشر ، وأن لا يحسنه وجاء في القاموس المحيط (بله) : رجل أبله : غافل ، أو عن الشر والبلهاء : المرأة الكريمة المريرة الغريرة المغفلة . وفي ديوان حسان تحقيق وليد عرفات ٢١/٢ نقلاً عن إحدى مخطوطات الديوان والبلهاء : الغفول عن الشر .

(٢) البقرة : ٢٢٤ .

(٣) الخريدة من النساء : الحية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المستترة . لسان العرب (خرد) أو الخفرة الطويلة السكوت الخافضة الصوت المستترة . القاموس المحيط (خرد) .

(٤) ابن هشام : السيرة النبوية ، ثم مصطفى السقا ورفيقه ، دار القلم ، بيروت ١٤٠/٤ . وجاء في ديوان حسان أنه قالها يوم فتح مكة ، عندما قدم رسول الله ﷺ سليماً . انظر : ديوان حسان تح حنفي ص : ٢٠٦ .

(٥) ديوان حسان تح حنفي ، ص : ٢٠٦ وتح عرفات ٢٦٥/١ والسح : الصب ، ودرر : سائلة . والوجد : الحزن ، وبهكنة : ممتلئة . وحوراء : شديدة بياض العينين وشديدة سوادهما . والدنس : القذر . والخور : الضعف ، يريد أنها نقية الحسب .

زَادَتْ هُمُومِي فَمَاءَ الْعَيْنِ يَنْحَدِرُ سَحًا إِذَا غَرَّقَتْهُ عِبْرَةٌ دَرَرُ

وهي مقدمة شديدة الإيجاز لا تتجاوز البيتين ، بدأها حسان بذكر همومه التي تداعت عليه ، فانهاالت دموعه غزيرة من عينيه ، وسحت سحاً متتابعاً ، حزناً على فراق شعثاء ذات العينين الحوراوين ، والقوام الملتف ، والنسب الرفيع ، والمحند الكريم ، قال حسان بعد بيت المطلع :

وَجَدًّا يَشْعَثَاءُ إِذْ شَعَثَاءُ بِهَكْنَةٍ حَوْرَاءُ لَا دَنْسٌ فِيهَا وَلَا خَوْرُ

ولم يلبث أن زجر نفسه عن ذكرها ؛ لأنها لا تستحق منه كل ذلك الوجد وتلك الدموع ، فهي لم تَجْدُ بوصله إلا قليلاً ، ولم تدم مودتها إلا نزراً ، وشرُّ الوصال النزر اليسير ، فقال :

دَعْ عَنْكَ شَعَثَاءَ إِذْ كَانَتْ مَوَدَّتُهَا نَزْرًا وَشَرُّ وَصَالِ الْوَاصِلِ النَّزْرُ

والتأمل في هذه المقدمة المبسرة يجد أن الشاعر قد ضاعف فيها شحنة التكثيف والتركيز ، فهو لم يمعن في تبيان محاسن شعثاء إمعانه الذي لمسناه في مقدمته السابقة . ولم يسترجع ذكرياته السابقة ، أو يصف مشهد الوداع الذي يثير مواجده . واكتفى من ذكر محاسنها الجسدية بحور العينين ، وامتلاء الجسم ؛ ومن محاسنها المعنوية بذكر نقاء الحسب ، وكرم المحند .

وعلى الرغم من ذكره بعض الأوصاف الحسية والمعنوية المحببة لصاحبه شعثاء في هذه المقدمة ، مما قد يوحي بالارتياح النفسي ، إلا أنه قد ظهر فيها شيء من التوتر ، الذي يبدو في هذا التحوّل المفاجئ . فشعثاء في البيتين الأول والثاني موضع إعجابه ، ومثار أشواقه ، ومبعث بكائه ، على حين تصبح في البيت الثالث (بيت التخلص) موضع سخطه ، ونفوره ، وتبرمه . فهل لذلك من سبب ؟

وفضلاً عن ذلك التوتر يظهر فيها حرصه الشديد على سرعة الوصول إلى موضوع القصيدة ، وهو غتاب الرسول ﷺ " حين أعطى لقريش وقبائل العرب ما

أعطى من فيء حنين ، ولم يعط الأنصار شيئاً" ^(١) . أو حين قدّم بني سليم على المهاجرين والأنصار في فتح مكة ^(٢) .

وإذا كان الأمر كذلك ، وإذا كان موضوع القصيدة يلح على وجدان الشاعر هذا الإلحاح ، فما الذي يدعوه إلى استهلال قصيدته بمقدمة ما ؟ وما الداعي إلى ذكر شعثناء أو غير شعثناء في قصيدة يعاتب فيها الشاعر رسول الله ﷺ ، وينتقد فيها سياسته ﷺ ، في توزيع الفياء ؟ ولماذا لا يدع ذكرها ويبادر إلى مخاطبة رسول الله ﷺ ؟

كل هذه الأسئلة تدفع الدارس إلى الاعتقاد بأن هذه المقدمة تحمل بعداً رمزياً فشعثناء فيها تذكر بسعاد في مقدمة قصيدة كعب بن زهير ^(٣) (ت نحو ٢٦ هـ = ٦٤٥ م) الاعتذارية اللامية ، وإن كانتا مختلفتي الملامح .

وإذا كانت (سعاد) عند كعب بن زهير في قصيدته المشهورة (بانث سعاد) تجسيدا لإحساسه بالماضي الذي يدبر عنه ، " متمثلاً في حياة الجاهلية التي انتهت بانتصار الإسلام .. وتشبه أن تكون صورة من باطل حياة الجاهلية المدبر .. وصورة من الدنيا المتقلبة" ^(٤) . فإن شعثناء عند حسان ربما تجسد مكانة الأنصار التي ظن أنها

(١) السيرة النبوية ١٠٤/٤ وديوان حسان تح عرفات ٢٦٦/١ .

(٢) انظر : ديوان حسان تح حنفي ، ص : ٢٠٦ وتح عرفات ٢٦٦/١ .

(٣) هو أبو المضرب كعب بن زهير بن أبي سلمى الشاعر المعروف ، اشتهر بقصيدته التي ألقاها بين يدي الرسول ﷺ عند إسلامه ، توفي في سنن متقدمة ، نحو سنة (٢٦ هـ = ٦٤٥ م) . تاريخ التراث العربي ، سزكين ، المجلد الثاني ، الجزء الثاني ، ترجمة د. محمود فهمي حجازي ، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م ص : ٢١٠ . وتاريخ الأدب العربي ، عمر فروخ ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٩ م ج١ ص ٢٨٢ .

(٤) السيد إبراهيم محمد ، قصيدة بانث سعاد لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي ، المكتب الإسلامي ، ص : ٦٩ .

أنها قد تراجعت ، أو منزلتهم التي تبادر إليه أنها تأخرت عندما قدّم الرسول ﷺ بني سليم عليهم يوم فتح مكة ، أو حين أعطى عليه الصلاة والسلام قريشاً وقبائل العرب ما أعطى من غنائم حنين ، ولم يعط الأنصار شيئاً . فهو من أجل ذلك يغرق في البكاء ، وتحدّر دموعه سحاً . ويمكن لشعثاء أن تكون رمزاً للعالم المتقلبة التي لا تدوم على حال ، فشعثاء يمكن أن تكون " رمزاً له واجهتان " ^(١) ، شأنها شأن سعاد في لامية كعب بن زهير .

فشعثاء الأولى المذكورة في البيت الثاني غير شعثاء المذكورة في البيت الثالث ؛ لأن شعثاء الأولى ترمز إلى شيء مرغوب فيه ، ومحبوب ؛ فهو موضع ثناء على صفاته الحسية والمعنوية ، وهو مكانة الأنصار وشعثاء الثانية المذكورة في البيت الثالث ترمز إلى شيء غير مرغوب هو الدنيا المتقلبة ؛ لأن ما تمنحه نزر قليل ، ومودتها لا تدوم ، وإقبالها عليه نادر ، ووصالها شرّ وصال .

ويظهر في هذه المقدمة فضلاً عن مضاعفة شحنة التركيز والتكثيف ، والبعد الرمزي لشعثاء ، مظهر آخر هو : الميل إلى اللغة السردية ، والابتعاد عن التصوير .

الصورة الثانية - المقدمة الطللية المنفردة :

وبهذه الصورة من صور المقدمات استهل حسان قصيدتين من قصائده الإسلامية .

أولاهما : قصيدته اللامية التي مطلعها ^(٢) :

أَجْدُكَ لَمْ تَهْتَجْ لِرَسْمِ الْمَنَازِلِ وَدَارِ مُلُوكٍ فَوْقَ ذَاتِ السَّلَاسِلِ

(١) السابق ، ص : ٦٩ .

(٢) ديوان حسان تح حنفي ، ص : ٢٨٠ وتح عرفات ١٩٧/١ .

أجدك : أجد هذا منك . وذات السلاسل : موضوع لم يرد في معجم البلدان . وعذرات الحي : أنفيتها وساحاتها . تدلى فوق أعرف : يريد فوق سور أعرف أي مرتفع . ومائل : منتصب قائم . واعتلجت الوحش تضاربت وتمارست . شوائل : جمع شائلة . زهاها الله : رفعها وزينها الشوي : الشاء .

وتقع مقدماتها في أربعة أبيات . وهو يستهلها بمساءلة نفسه عن المنازل التي أقفرت بذات السلاسل ، وما أثارت من أشجانه ، وهاجت من أشواقه . إنها ديار اعتادتها الأمطار الغزيرة إذ تنهمر عليها بنوء الثريا ، تتخللها حبات البرد الصلبة التي تتكسر تحت وقعها أغصان أشجار الكرمة إذ تظلل ساحاتها وأفنيتها وتتدلى على أسوارها المرتفعة .

تلك منازل قوم كرام حباها الله تعالى بالثراء الوفير ، والخير العميم ، ورفع مكانتها ، وأتم زينتها ، منازل ذات عز أصيل ، ومجد أثيل ؛ لأنها ديار ملوك ، لا خيام أعراب ، تعتلج فيها وحوش الفلاة ، وتُرد عليهم بها شياه البادية ، والإبل التي جفت ضروعها ، وشال لبنها ، يقول حسان بعد المطلع :

تَجُودُ الثُّرَيَّا فَوْقَهَا وَتَضَمَّنَتْ لَهَا بَرْدًا تُذْزِي أَصُولَ الْأَسَافِلِ
إِذَا عَزِزَاتُ الْحَيِّ كَانَ نِتَاجُهَا كُرُومًا تَدُلُّ فَوْقَ أَغْرَفٍ مَائِلِ
دِيَارُ ثَرَاهَا اللَّهُ لَمْ تَعْتَلِجْ بِهَا رِعَاءَ الشَّوِيِّ مِنْ وَرَاءِ الشَّوَائِلِ

ومن الواضح أن حسان في هذه المقدمة لم يكذب يقي على شيء من العناصر التقليدية للمقدمة الطللية ؛ فلم يستوقف الصحب أو يخاطب الرفيقين ، ولم يذرف الدمع على الطلل المحيل ، ولم يذكر من أسماء الأماكن إلا مكاناً واحداً هو ذات السلاسل ، ولم يحدد مكان الطلل تحديداً جغرافياً دقيقاً ، ولم يستفسر عن أهله الظاعنين ، ولم يذكر ما تبقى من آثار الديار ، ولا ما غيرها من عوامل الطبيعة أو تقادم الزمن ، ولا ما ذرته من الرياح فوقها ، ولم يستعن بالتشبيهات المعهودة في وصف ذلك كله ، كما لم يذكر ما حل بها من حيوانات ، أو يسترجع ذكريات يوم الرحيل ، أو ما لف الطلل من وحشة وإفقار . وكل ما أبقى عليه من ملامح المقدمة الطللية التقليدية لا يتعدى ذكر رسم المنازل ، وما أثاره في نفسه من أشواق .

وفي مقابل ذلك حمل حسان مقدمته ملامح جديدة كل الجدة ؛ فالطفل الذي وقف عليه فيها طلل يحمل ملامح لم تعرفها مقدماته الجاهلية ، أو التي نسج حسان فيها على منوال الجاهليين ؛ كما لم تألفها مقدمات سواء من الجاهليين أو المخضرمين . فهل كان ذلك أثراً من آثار الإسلام في نفس حسان وفي شعره؟ أو كان إدراكاً منه لضرورة التغيير في عناصر المقدمة الموروثة؟ أو كان تعبيراً عن إحساسه بارتفاع مكانة المدينة المنورة في ظل الإسلام ؟ المدينة التي غدت مهوى الأفئدة ، ومحور الاهتمام ، وعاصمة الدولة الجديدة ، ومنطلق الدعوة الإسلامية . أو كان ذلك استشعاراً لارتفاع مكانة الأنصار على من سواهم ، ولا سيما أعراب الجزيرة العربية ، وتجاوباً مع قوله تعالى : ﴿ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ ﴾^(١) .

كل هذه التساؤلات يمكن الإجابة عنها بالإيجاب . ويمكن أن تكون إجاباتها عوامل كامنة وراء هذا التغيير الذي أجراه حسان في عناصر مقدمته الطللية .
والثانية : قصيدته البائية التي قالها يوم الخندق ، ومطلعها^(٢) :
عَرَفْتَ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالْكَيْشِبِ كَحَطِّ الْوَحْيِ فِي الرِّقِّ الْقَشِيبِ

(١) التوبة : ٩٧ .

(٢) ديوان حسان نح حنفي ، ص : ١٣٤ ونح عرفات ٨٢/١ . والكشيب : كدس الرمل . والقشيب : الجديد ، قال السهيلي : ولا معنى له في هذا البيت ، لأنهم إذا وصفوا الرسوم وشبهوها بالكشيب في الورق فإنما يصفون الخط حينئذ بالدروس والامحاء ، فإن ذلك أدل على عفاء الديار ، وطموس الآثار ، وكثرة ذلك في الشعر تغني عن الاستشهاد عليه . ولكن أراد حسان بالقشيب هنا الذي خالطه ما يفسده إما من دنس وإما من قدم . يقال طعام قشيب : إن كان فيه السم . انظر : السيرة النبوية ٢/٢٩٣ هامش (١) واللسان (قشِب) . والجون : السحاب الأسود ، والوسمي مطر أول الربيع سمي كذلك لأنه يسقط الأرض بالنبات .

وتتألف مقدمتها من ثلاثة أبيات . وهو يستهلها بالوقوف على ديار زينب المقفرة التي تقع بمكان مرتفع مشرف . وما يلبث أن يخبر بأن تلك الديار قد درست معالمها ، وتغيرت ملامحها حتى غدت كآثار الكتابة المطموسة في رق بال .

لقد تعاورت تلك المنازل رياح الشمال والجنوب ، فإذا هبَّت عليها إحداهما فسفت عليها الرمال ، قابلتها الأخرى فأزاحت عنها ما تراكم عليها ؛ وتعهدتها السحب الكثيفة السود المثقلة بالمياه ، تسكب عليها أمطارها المتواصلة الغزيرة ، منذ أوائل الربيع ، حتى أمحت رسومها ، وتغيرت معالمها ، وغدت خراباً يباباً ، لا أثر فيها للحياة ، من بعد أن غنيت بأهلها زمناً ، يقول حسان بعد المطلع :

تَعَاوَرَهَا الرِّيحُ وَكُلُّ جَوْنٍ مِنْ الوَسْمِيِّ مُنْهَمِرٍ سَكُوبٍ
فَأَمْسَى رَسْمُهَا خَلْقاً وَأَمْسَتْ يَبَاباً بَعْدَ سَاكِئِهَا الْحَيْبِ

ولا يلبث أن يزجر نفسه على تماديها في الحديث عن الأطلال ، واسترسالها في ذكر الديار العافية ، والرسوم الدارسة ؛ وفي ترديد أوصاف قد مجتتها الأسماع ، ولاكتها الألسن ، وملتها النفوس ، وخلت من المشاعر والأحاسيس ، ولم تعد تثير في المتلقي عاطفة ، أو تحرك فيه ساكناً ، أو تشفي غليله ، أو تطفئ حرارة صدره الملهب ، فجدير به أن يقلع عن ذلك ، ليستوحي مقدمات قصائده من الأحداث الجارية من حوله ، ويستلهم عصره ، وما يجري فيه من متغيرات كبرى ، وتحولات عظيمة ، ويقلع عن اختلاق قصص وهمية ومغامرات خيالية ، لم يعد لها مكان في حياته الجديدة :

فَدَعْ عَنْكَ التَّذَكُّرَ كُلَّ يَوْمٍ وَرَدَّ حَرَارَةَ الصَّدْرِ الْكَنِيبِ
وَخَبَّرْ بِالَّذِي لَا عَيْبَ فِيهِ بِصَدَقٍ غَيْرِ إِخْبَارِ الْكَذُوبِ

وحسان ينحو في هذه المقدمة منحى مقدمته السابقة من حيث التأكيد والتركيز ومن حيث عدم التشبث بعناصر المقدمة الموروثة ؛ فقد استغنى فيها عن معظم

هاتيك العناصر ، مثل : استيقاف الصبح ، ومحاطبة الرفيقين والبكاء على الطلل ، وذكر أسماء الأماكن ، والعطف بينها بالفاء ، ومسألة الطلل عن أهله النازحين ، واستعجابه عن الرد ، وذكر ما تبقى من آثار الديار ، وما حل بها من حيوانات الصحراء . وبدلاً من استرجاع ذكريات يوم الرحيل ، رأيناه يزجر نفسه على التماذي في وصف الديار المقفرة . ولم يستعن بالتشبيهات المعهودة في المقدمات الطللية إلا حين شبه الطلل المحيل بآثار الكتابة في رق بال .

وكل ما أبقى عليه من العناصر التقليدية للمقدمة الطللية هو الوقوف بالطلل وذكر عوامل الطبيعة التي غيرته من رياح تعاورته ، وسحب سود مثقلة بالمطر الغزير ، وما يلفه من وحشة وإقفار .

ومعنى ذلك أنّ العناصر الموروثة للمقدمة الطللية لم تعد تغري حسان باحتذائها وأنه أخذ يستشعر بقوة ضرورة تطوير مقدمات قصائده بما يتلاءم مع عصره .

الصورة الثالثة - المقدمة الطللية الغزلية :

وبهذه الصورة من صور المقدمات استهل حسان قصيدتين من قصائده الإسلامية .

الأولى : قصيدته البائية التي مطلعها ^(١) :

هل رَسْمُ دراسةِ المَقَامِ يَبَابِ مُتَكَلِّمُ مُسَائِلٍ بِجَوَابِ

ومقدمتها تتضمن لوحتين : اللوحة الطللية ، واللوحة الغزلية . أما اللوحة الطللية فقد وقف فيها حسان على الأطلال الدارسة ، والمنازل المقفرة ، متسائلاً ؛ والتمس منها أن ترد سؤاله ، فتكشف عن سرّ إقفارها ، وتغير ملامحها . ثم

(١) المصدر السابق تح حنفي ص : ١١٩ وتح عرفات ٨٠/١ واليباب : القفر وعفا : تغير ودرس ورهم :

جمع رهمة وهي المطر ، ومظلة : مشرفة . ومرباب : دائمة ثابتة . وثواقب الأحساب : ذوات الحسب

الثاقب الواضح البين أو المشرقة . والحلول : البيوت المجتمعة .

وصف تلك الأطلال الدارسة وصفاً سريعاً ، بعد أن تبين له أن سبب اندراسها هو هبوب الرياح التي تثقلها السحب ، وهطول الأمطار المتواصل . فقال :

قَفَرُ عَفَا رَهْمُ السَّحَابِ رُسُومُهُ وَهَبُوبُ كُلِّ مُطَلَّةٍ مِرْبَابٍ

وواضح مقدار ما ألحقه حسان بالمقدمة الطللية من اختزال . فقد استغنى عن أكثر عناصرها ومقوماتها ؛ فأعرض عن استيقاف الصحب ، والبكاء على الطلل ، وتحديد تحديداً جغرافياً دقيقاً ، وذكر أسماء المواضع التي يقع الطلل بينها ، والعطف بينها بالفاء . كما عدل عن ذكر ما تبقى من آثار الديار من نؤي وأثاف ، وعن ذكر ما حل به من حيوانات الصحراء ، كالظباء وحمير الوحش . ولم يخاطب الرفيقين على نحو ما درج عليه الشعراء في هذا المقام . وعزف عن استدعاء ذكريات يوم الرحيل . كما اختفت الصور التي اعتاد الشعراء رسمها لبقايا الديار ، مثل : تشبيهها بخيوط الثوب البالي ، أو آثار الكتابة المطموسة ، أو الوشم ، أو غير ذلك ؛ أو للأثافي كتشبيهها بالحمام الجُثم ؛ أو للرمال التي طمست معالم الطلل ، مثل تشبيهها بالطحين المتناثر .

وأما اللوحة الغزلية ، فهي أقرب إلى المدح منها إلى الغزل . وقد اقتصر فيها على وصف أهل تلك الديار المقفرة ، بأنهم ذوو الحسب الثاقب ، والأصل الواضح البين ، والوجوه البيض التي تنم عن كرم المحتد ، وعراقة الأرومة .

ولم تتضمن هذه اللوحة وصفاً حسيّاً للمرأة ، أو ذكراً لاسمها ، أو تعبيراً عن عواطفه نحوها ، ولم يتحسر على أيامه الماضية معها . قال حسان :

وَلَقَدْ رَأَيْتُ بِهَا الْحُلُولَ يَزِينُهُمْ بِيضُ الْوُجُوهِ ثَوَاقِبُ الْأَحْسَابِ

وتبرز في هاتين اللوحتين سمتان واضحتان ، هما : التخلي عن معظم العناصر التقليدية ، والابتسار الشديد ^(١) .

(١) جاءت اللوحتان في بيتين في تحقيق حنفي وثلاثة أبيات في تحقيق عرفات .

ولعله من السهولة بمكان أن يدرك المرء أن حساناً كان مشغولاً عن احتذاء الجاهليين ، والنسج على منوالهم بما يعتمل في نفسه من معان ، وما يضطرم فيها من هموم ، بسبب دقة الظرف التاريخي التي كانت تمر به الدعوة الإسلامية في الوقت الذي نظمت فيه القصيدة ، واستشعاره لخطورة المرحلة التي عاشتها المدينة المنورة آنذاك . فقد تألب عليها الكفار والمشركون من كل حذب وصوب وأجمعوا أمرهم على اجتثاث جذور الإسلام في المدينة المنورة ، واستئصال شأفته .

وفي مثل ذلك الموقف لا يتوقع المرء من حسان أن يضع نصب عينه محاكاة الجاهليين في مقدمات قصائدهم ، أو يصرف همه إلى احتذائهم في مطالعهم واستهلالاتهم . ويؤكد ذلك أنه ما لبث أن زجر نفسه على هذه المقدمة المبسرة ، على الرغم من أنه لم يبق فيها إلا على القليل من العناصر التقليدية ؛ وثناها عن التماذي في استرجاع ذكرياته القديمة التي كانت تحفل بها حياته الجاهلية ، كلهوه بالآنسات الخرائد ، اللاتي يأنس المرء لحديثهن ، ذوات الوجوه الناصعة ؛ إذ هنّ في ميعة الصبا ، وريعان الشباب . فلا الإسلام يبيح له ذلك ، ولا التجربة الشعرية التي يهد لها بمقدمته تلك تستدعي هاتيك الذكريات ، فهو ينظم قصيدته في ظل ظروف خطيرة ، وموقف حرج يقفه المسلمون ، فقد حشد أعداء الإسلام كل قواهم ، وجاءت جموع الشرك والوثنية من بوادي الجزيرة العربية وحواضرها يحدوها الطمع في القضاء على الإسلام في عقر داره ، وقتل الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . والمدينة المنورة محاطة بجيوش الكفار ، يؤازرها المنافقون ، واليهود وقد توحدت كلمتهم على هدف خبيث واحد .

وخير من الاسترسال في سرد ذكريات الجاهلية وآثامها ، ربط القصيدة بالأحداث التي فجرت تجربتها ، لا استدعاء مقدمات جاهزة ، أو رسم صور باهتة خالية من الروح والحياة ، بعيدة عن صدق الإحساس ، ودفع العاطفة .

وليشكُ حسان همومه الثقيلة لله الواحد القهار ، وليستمد منه وحده - تبارك وتعالى - العون والنصر^(١) :

فَدَعِ الدِّيَارَ وَذَكَرْ كُلَّ خَرِيدَةٍ يَبْضَاءُ أَنْسَةِ الْحَدِيثِ كَعَابِ
وَأَشْكُ الْهُمُومَ إِلَى الْإِلَهِ وَمَا تَرَى مِنْ مَعَشَرٍ مُتَأَلِّينَ غَضَابِ
أُمُّوَا يَغْزُوهُمْ الرَّسُولَ وَأَلْبُوا أَهْلَ الْقُرَى وَيَوَادِي الْأَغْرَابِ

والقصيدة نقيضة لقصيدة عبدالله بن الزبعرى التي مطلعها^(٢) :

حَيِّ الدِّيَارَ مَحَا مَعَارِفَ رَسْمِهَا طُولُ الْبَلَى وَتَرَاوُحُ الْأَحْقَابِ

وربما كان وراء استهلال حسان قصيدته بمقدمته تلك مجازاة ابن الزبعرى في مقدمة قصيدته .

والثانية : قصيدته اللامية التي مطلعها^(٣) :

أَهَاجَكَ بِالْبَيْدَاءِ رَسْمُ الْمَنَازِلِ نَعَمْ قَدْ عَفَاها كُلُّ أَسْحَمَ هَاطِلِ

ومقدمتها كسابقتها ذات لوحتين : طल्लीة وغزلية . وتبدأ باللوحة الطल्लीة حيث يستهلها بالتساؤل عما إذا كان ما وقعت عليه عيناه من رسوم دارسة ، وأطلال عافية قد أثارَت وجده الدفين ، أو فجَّرت كوامن الشوق في نفسه . ولا يلبث أن يصف تلك المنازل الدارسة التي هاجت مشاعره .

(١) الخريدة : الحية ، والمرأة الناعمة . والكعاب : التي قد كعب ثديها في صدرها كالكعب . والمتألبون : المجتمعون .

(٢) شعر عبدالله بن الزبعرى ، تحمى الجبوري ، نشر مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠١ هـ . ١٩٨١ م ص : ٢٩ .

(٣) ديوان حسان تحمى حنفي ، ص : ١٦٥ وتحذ عرفات ٨٨/١ والأسحم : السحاب الأسود والرامسات : الرياح . والأشعث : الودد . والمائل : المنتصب . ومطفل : ذات أطفال . وراق : أعجب . وعزَّ علينا : غلبنا والخمائل من الرمل : ما أنبت الشجر .

لقد أدّى انهمار الأمطار الغزيرة من سحب الشتاء السود فيها ، وهبوب الرياح الشديدة إلى تغيير رسوم تلك الديار ، واحياء معالمها . ولم يصمد في وجه تلك العوامل سوى وتد بال ما يزال قائماً ، يقول :

وَجَرَّتْ عَلَيْهَا الرَّأْسَاتُ ذُبُولَهَا فَلَمْ يَبْقَ فِيهَا غَيْرُ أَشْعَثَ مَائِلٍ

ثم يتحول إلى لوحة الغزل فيتغنى بحب فاتنة أسرت فؤاده بدلالها ، ولكنها ضنت عليه بوصلها ، ولم تجدُ نبيلها . لقد فتنته بجمال عينيها الحوراوين اللتين تحكيان عيني مهاة مطفل ، ترنو إلى قطيع من النعام ، وترتعي وسط خميلة ملتفة الأشجار ، متشابكة الأغصان . إنها تلك الحسناء التي كاد - عندما رآها بمنى - أن يقيم فيها ، ولا يبرحها ، لولا أن رفاقه حثوا الرواحل ، فلم يكتنوه مما أراد ، ولم يحققوا له تلك الأمنية ، ثم دلف إلى الفخر ، يقول :

دِيَارُ الَّتِي رَاقَ الْفُؤَادَ دَلَالُهَا وَعَزَّ عَلَيْنَا أَنْ تَجُودَ بِنَائِلٍ
لَهَا عَيْنُ كَحْلَاءِ الْمَدَامِعِ مُطْفِلٍ ثُرَاعِي نَعَاماً يَرْتَعِي بِالْخَمَائِلِ
دِيَارُ الَّتِي كَادَتْ وَنَحْنُ عَلَى مَنَى تَحُلُّ بِنَا لَوْلَا نَجَاءُ الرُّوَاحِلِ

وهو في اللوحة الطللية لا يتمسك إلا بالوقوف على الطلل ، والتعبير عن إحساسه بالوحشة التي تلف تلك الديار ، وذكر ما غير معالمها ، ودرس آثارها ، من رياح تجر فيها ذبولها ، وسحب سود تسح عليها أمطارها ، وما بقي من وتد بال .

أما غير ذلك من عناصر تقليدية للمقدمة الطللية ، فقد عزف حسان عن ذكرها وزهد فيها . فهو لم يستوقف الصحب ، أو يخاطب الرفيقين ، ولم يذرف دمه على الطلل الدارس ، ولم يحدد مكانه ، أو يذكر المواضع التي تحيط به ، أو يعطف بينها بالفاء ، وسكت عن مساءلة الطلل عن أهله الظاعنين ، كما أعرض

عن التعرض لما حل به من حيوانات ، وعن استرجاع ذكريات يوم الرحيل به . ولم يضمن حديثه عن الطلل تلك التشبيهات المعهودة ، سواء ما يتعلق بآثار الديار ، أو ما ذرته الرياح عليها من الرمال ، أو الأثافي وما توحى به من تشبيهات .

وفي اللوحة الغزلية اكتفى بذكر بعض عناصر الجمال الجسدي مثل العينين الحوراوين اللتين شبههما بعيني ظبية مطفل ترنوان إلى خشف في خميلة كثيفة الأشجار ؛ وبعض الصفات المعنوية كالدلال ، والبخل في النوال والوصال ؛ والتعبير عن عواطفه تجاهها ، مثل إعجابه ببعض صفاتها الخلقية ، واسترجاع بعض ذكرياته التي ترتبط بها ، من قبيل ذلك الموقف الذي كاد فيه يعدل عن الرحيل ، ويعتذر عن مرافقة صحبه في سفرهم . ولكنه لم يتوسع في وصف محاسنها ، والتغني بجمالها ، ولم يذكر اسمها .

وتقع هذه المقدمة في خمسة أبيات . وعلى الرغم من أن صفة الإيجاز لم تغادرها ، إلا أنها أقل إيجازاً من سابقتها ، وأكثر تشبهاً بالعناصر التقليدية للمقدمات . ولعل التفاوت في الموقف الشعري لدى الشاعر هو العامل الكامن وراء ذلك . فهو في القصيدة السابقة يبدو مشدوداً إلى التجربة الشعرية بقوة ؛ لأنه يقولها وسط احتدام الأحداث ، ويرد فيها على شاعر قریش عبدالله بن الزبعرى الذي افتخر بجيش المشركين ، وقيادته ، وحصاره للمدينة أربعين يوماً ولكنه في هذه القصيدة يبدو أقل توتراً ؛ لأنها غير مرتبطة بحدث معين . فهي قصيدة يفخر فيها بمجمل فضائل الأنصار ، من إيواء ، ونصرة ، وبانتصارات المسلمين ؛ وبلائهم في بدر ، وأحد ، وحنين . ومن ثم فإن بسط القول في المقدمة أمر متوقع .

المحور الرابع : ملامح التطور في مقدماته الإسلامية :

في ضوء العرض السابق تظهر بعض الملامح الفنية لمقدمات حسان الإسلامية ، وفي الوقت نفسه تبرز بعض مظاهر التطور في مقدمة القصيدة العربية . ولعل أبرز

تلك الملامح شدة التكريف والتركيز ، بحيث يصل الأمر بحسان إلى أن يقتصر في بعض مقدماته على بيتين ، مثل مقدمة قصيدته الرائية التي عاتب فيها الرسول صلى الله عليه وسلم ، ومطلعها ^(١) :

زَادَتْ هُمُومِي فَمَاءُ الْعَيْنِ يَنْحَدِرُ سَحًّا إِذَا غَرَّقَتْهُ عِبْرَةٌ دَرَرُ

ومقدمة قصيدته البائية التي مطلعها ^(٢) :

هَلْ رَسْمُ دَارِسَةِ الْمَقَامِ يَبَابُ مَتَكَلَّمُ لِمُسَائِلِي بِجَوَابِ

وقد يقتصر بعضها على ثلاثة أبيات ، مثل مقدمة قصيدته البائية التي مطلعها ^(٣) :

عَرَفْتَ دِيَارَ زَيْنَبَ بِالْكُثِيبِ كَخَطِّ الْوَحْيِ فِي الرَّقِّ الْقَشِيبِ

أو على أربعة أبيات كمقدمة قصيدته اللامية التي مطلعها ^(٤) :

أَجِدْكَ لَمْ تَهْتَجْ لِرَسْمِ الْمَنَازِلِ وَدَارِ مُلُوكٍ بَيْنَ ذَاتِ السَّلَاسِلِ

أو على خمسة أبيات كمقدمة قصيدته اللامية التي مطلعها ^(٥) :

أَهَاجُكَ بِالْبَيْدَاءِ رَسْمُ الْمَنَازِلِ نَعَمْ قَدْ عَفَاها كُلُّ أَسْحَمَ هَاطِلِ

وأطول مقدماته الإسلامية تقع في سبعة أبيات ، وهي مقدمة قصيدته الميمية التي مطلعها ^(٦) :

تَبَلَّتْ فُؤَادَكَ فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةٌ تَشْفِي الضَّجِيعَ بِيَارِدِ بَسَامِ

(١) ديوان حسان تح حنفي ، ص : ٢٠٦ وتح عرفات ٢٦٥/١ .

(٢) المصدر السابق تح حنفي ، ص : ١١٩ وتح عرفات ٨٠/١ والمقدمة فيه ثلاثة أبيات .

(٣) نفسه تح حنفي ، ص : ١٣٤ وتح عرفات ٨٢/١ .

(٤) نفسه تح حنفي ، ص : ٢٨٠ وتح عرفات ١٩٧/١ .

(٥) نفسه تح حنفي ، ص : ١٦٥ وتح عرفات ٨٨/١ .

(٦) نفسه ، تح حنفي ، ص : ١٠٧ وتح عرفات ٢٩/١ .

ومعنى ذلك أنّ المتوسط التقريبي لعدد أبيات المقدمة في قصائد حسان الإسلامية أربعة أبيات ^(١). في الوقت الذي نجد فيه المتوسط التقريبي لعدد أبيات المقدمة في قصائده الجاهلية عشرة أبيات ^(٢).

وفي الموازنة بين المتوسطين دلالة واضحة على مدى التطور الذي طرأ على موقف حسان من مقدمة القصيدة . وهو موقف من أبرز مغالمة تنامي إحساسه بثقل تلك المقدمة على نفسه ، وبضرورة نبذها ، والاستغناء عنها ، والإقبال على التعبير عن تجاربه الشعرية مباشرة دون تريث أو تلكؤ ، قد يبدد حرارة التجربة ، أو يذهب بوهجها .

ولا شك أنّ هذا الموقف يعد مظهراً من مظاهر التجديد التي تحسب لحسان وفي الوقت نفسه تنقّض ما شاع من آراء حول قلة تجديد المخضرمين ^(٣).

ومن الملامح البارزة في مقدمات حسان الإسلامية قلة صور تلك المقدمات أو أشكالها . فمن الواضح أنها لا تتجاوز ثلاث صور ، هي : المقدمة الطللية المنفردة والمقدمة الغزلية المنفردة ، والمقدمة الطللية الغزلية . وهي صور قليلة قلة واضحة إذا ما قيسَت بصور مقدماته الجاهلية التي بلغت ثمانين صورة ^(٤) . فقد اختفى عدد من تلك الصور في مقدماته الإسلامية ، وهي : المقدمة الظعنبة الغزلية ، والمقدمة الطللية الظعنبة الغزلية ، والمقدمة الظعنبة الغزلية الوصفية ومقدمة الطيف والرحلة ومقدمة وصف الليل والظعن .

(١) المتوسط الحقيقي لعدد أبيات المقدمة في قصائده الإسلامية هو ٣.٨٣ في تحقيق حنفي و ٤ في تحقيق عرفات .

(٢) المتوسط الحقيقي لعدد أبيات المقدمة في قصائده الجاهلية ٩.١٨ في تحقيق حنفي و ٩.٢٧ في تحقيق عرفات .

انظر : مقدمة القصيدة الجاهلية عند حسان بن ثابت رضي الله عنه ، للباحث (مخطوط) .

(٣) مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ، ص : ١٦ ، ٢٤ ، ٢٥ .

(٤) انظر : مقدمة القصيدة الجاهلية عند حسان بن ثابت رضي الله عنه ، (مخطوط) .

وبهذا يضيف حسان دليلاً جديداً إلى موقفه الجديد من المقدمة ، وهو الموقف المتمثل في إحساسه بثقل المقدمة التقليدية ، والزهد فيها ، وضرورة نبذها ، والتخلي عنها ؛ لأنها أصبحت تشكل عبئاً على القصيدة ، لا مسوّغ لحمله أو للاحتفاظ به .

ولعل من أبرز الملامح في مقدمات حسان الإسلامية اختفاء كثير من العناصر والمقومات التقليدية في لوحاته الطللية والغزلية . وهنا لا بدّ من وقفة نفصل فيها القول ، ونتتبع تلك العناصر موازين فيها بين مقدماته الجاهلية ، والإسلامية . ولنبدأ بالمقدمة الطللية .

بلغت اللوحات الطللية في مقدمات حسان الجاهلية ست لوحات^(١) . على حين لم تبلغ في مقدماته الإسلامية سوى أربع . والنظرة المتأنية في العناصر والمقومات التقليدية لتلك اللوحات تكشف عما يأتي :

أولاً : عناصر تخلّى عنها حسان في لوحاته الجاهلية ، ولوحاته الإسلامية ، وهي : استيقاف الصحب ، ومخاطبة الرفيقين ، وتشبيه ما ذرته الرياح على الأطلال بالطحين المتناثر . وكان العنصران الأولان قد اختفيا عند زهير وغيره من شعراء مدرسة الصنعة من قبل^(٢) .

ثانياً : عناصر تمسك بها تمسكاً جزئياً في مقدماته الجاهلية ، وتخلّى عنها نهائياً في مقدماته الإسلامية ، وهي :

١ - البكاء على الطلل ، فقد اختفى كلياً في مقدماته الإسلامية على حين ورد في لوحة واحدة من لوحاته الجاهلية ، وذلك في قوله^(٣) :

فَالْعَيْنُ عَائِيَةٌ تَفِيضُ دُمُوعَهَا لِمَنَازِلٍ دَرَسَتْ كَأَن لَّمْ تُؤَوَّلِ

(١) المرجع السابق .

(٢) خليف ، دراسات في الشعر الجاهلي ، ص : ١٣٨ .

(٣) ديوان حسان تح حنفي ، ص : ١٢١ ونحو عرفات ٧٤/١ .

- ٢- ذكر أسماء المواضع . وقد ورد في مقدماته الجاهلية أربع مرات ^(١) .
 - ٣- تحديد مكان الطلل تحديداً جغرافياً دقيقاً ، والعطف بين الأماكن بالفاء . وقد وردا ثلاث مرات في مقدماته الجاهلية ^(٢) .
 - ٤- تشبيه الأثافي بالحمام الجثم أو الملتفة حول فرخ لها . وقد ورد مرتين في مقدماته الجاهلية ^(٣) .
 - ٥- استرجاع ذكريات يوم الرحيل . وقد ورد أربع مرات في مقدماته الجاهلية ^(٤) .
- ثالثاً : عناصر مشتركة وردت في مقدماته الجاهلية ، وأبقى عليها في مقدماته الإسلامية . مع وجود تفاوت واضح من حيث كثرة الاستعمال وقلته ، وهي :
- ١- استفسار الطلل عن أهله الظاعنين ، واستعجابه عن الرد . وقد ورد خمس مرات في مقدماته الجاهلية ^(٥) ، ولم يرد سوى مرة واحدة في مقدماته الإسلامية ^(٦) .
 - ٢- ذكر ما تبقى من آثار الديار ، ورد ثلاث مرات في مقدماته الجاهلية ^(٧) ، ومرة واحدة في مقدماته الإسلامية ^(٨) ، ولم يذكر فيها سوى الوند المائل .

(١) انظر : القصيدة رقم ١٣/٢٧ و ١٨/٥٦ و ١٢٣/٢١٨ و ٤/٢٩ من ديوانه (الرقم الذي قبل الخط المائل هو رقم القصيدة في ديوان حسان بتحقيق د. سيد حنفي حسنين والرقم الذي بعد الخط المائل هو رقمها في ديوانه بتحقيق د/ وليد عرفات) .

(٢) انظر : القصيدة رقم ١٣/٢٧ و ١٢٣/٢١٨ و ٤/٢٩ .

(٣) انظر : القصيدة رقم ١٨/٥٦ و ١٠/٧٠ .

(٤) انظر : القصيدة رقم ٢٣/٧١ و ٤/٢٩ و ١٢٣/٢١٨ و ١٨/٥٦ .

(٥) انظر : القصيدة ٤/٢٩ و ١٢٣/٢١٩ و ١٠/٧٠ و ١٨/٥٦ و ١٣/٢٧ .

(٦) انظر : القصيدة رقم ١٤/٢٥ .

(٧) انظر : القصيدة رقم ١٨/٥٦ و ١٠/٧٠ و ٢٣/٧١ .

(٨) انظر : القصيدة رقم ١٧/٥٥ .

٣- ذكر ما غير معالم الديار من عوامل الطبيعة ، وقد ورد أربع مرات في مقدماته الجاهلية ^(١) ، وثلاثاً في مقدماته الإسلامية ^(٢) .

٤- تشبيه بقايا الديار بخطوط الثوب الموشى ، أو الوشم ، أو آثار الكتابة المطموسة . وقد ورد مرتين في مقدماته الجاهلية ^(٣) ولم يرد سوى مرة واحدة في مقدماته الإسلامية ^(٤) .

وبلغت اللوحات الغزلية في مقدمات حسان الجاهلية سبعة ^(٥) ؛ يقابلها أربع فقط في مقدماته الإسلامية ^(٦) . والنظرة الفاحصة إلى هذه اللوحات تكشف عما يأتي :

١ - ازدياد نسبة التغني بأوصاف المرأة الحسية والمعنوية في لوحاته الإسلامية من ٥٧٪ إلى ٧٥٪ ويرجع ذلك إلى استخدامه بعض لوحاته الغزلية الإسلامية استخداماً رمزياً .

٢ - تراجع نسبة التعبير عن عواطف الشاعر تجاه المرأة من ٨٥٪ إلى ٧٥٪ .

٣ - استمرار عزوف الشاعر عن وصف مشاهد الوداع والرحيل في لوحاته الغزلية الإسلامية.

٤ - تراجع نسبة التحسر على أيامه الماضية من ٥٧٪ إلى ٢٥٪ .

٥ - تراجع نسبة التصريح بذكر اسم صاحبه من ٥٧٪ إلى ٢٥٪ .

٦ - تراجع نسبة استرجاع ذكرياته في ديار صاحبه من ٥٧٪ إلى ٥٠٪ .

(١) انظر : القصيدة رقم ١٣/٢٧ و ١٠/٧٠ و ٤/٢٩ و ٢٣/٧١ .

(٢) انظر : القصيدة رقم ١٤/٢٥ و ١٥/٣١ و ١٧/٥٥ .

(٣) انظر : القصيدة رقم ١٣/٢٧ و ١٠/٧٠ .

(٤) انظر : القصيدة رقم ١٥/٣١ .

(٥) هي القصائد ٤/٢٩ و ٢٦/١٠ و ١٥٠/٢٢٨ و ١٠/٧٠ و ١٢٣/٢١٨ و ١٣٦/٣٩ و ٢٣/٧١ .

(٦) هي القصائد ١٢٩/٨٦ و ٣/١٥ و ١٤/٢٥ و ١٧/٥٥ .

ومما يثير الاهتمام في مقدمات حسان الإسلامية بروز ملامح جديدة لم تعهد في مقدماته الجاهلية ، ولم تشهدها المقدمات الجاهلية بشكل عام . ومن أبرز تلك الملامح ما يأتي :

أولاً : استخدام اسم المرأة استخداماً رمزياً كما في مقدمة قصيدته الرائية التي مطلعها^(١) :

زَادَتْ هُمُومِي فَمَاءَ الْعَيْنِ يَنْحَدِرُ سَحّاً إِذَا غَرَّقَتْهُ عَبْرَةٌ دَرَرُ

حيث يغلب على الظن أنه رمز بشعثاء إلى مكانة الأنصار التي ظن أنها تراجعت بعد فتح مكة ، ثم عاد فرمز بها إلى الدنيا المتقلبة ، على النحو الذي تم تفصيله سابقاً .

ثانياً : ظهور شيء من الاضطراب العاطفي ، أو التناقض في موقفه من المرأة في بعض المقدمات ، كما في مقدمة القصيدة السابقة الذكر ، حيث يبدي إعجابه بها تارة ، وسخطه عليها تارة أخرى . ولعل في هذا ما يعزز فكرة البعد الرمزي لشعثاء ، أو أنّ هذا الاستخدام الرمزي هو الذي يفسر ذلك الاضطراب والتناقض في موقفه من شعثاء .

ثالثاً : بروز بعض الملامح الإسلامية في بعض لوحاته الغزلية كما في قصيدته الميمية التي مطلعها^(٢) :

تَبَلَّتْ فُؤَادَكَ فِي الْمَنَامِ خَرِيدَةً تَشْفِي الضَّجِيعَ بِيَارِدِ بَسَامٍ

من قبيل وصف صاحبه بأنها عفيفة ، غفول عن الشر ، غير وشيكة الأقسام ، وأنها حية خفرة ، عزيزة المنال ، لا تنال إلا في المنام .

رابعاً : تضمين بعض لوحاته الطللية ملامح جديدة من وحي المرحلة الإسلامية التي عاشها ، إدراكاً منه لضرورة التغيير في المقدمة التقليدية ،

(١) ديوان حسان ، تح حنفي ، ص : ٢٠٦ ونح عرفات ٢٦٥/١ .

(٢) نفسه تح حنفي ، ص : ١٠٧ ونح عرفات ٢٩/١ .

وتطويرها بما يتلاءم مع معطيات عصره ومستجداته ، واستشعاراً لارتفاع مكانة المدينة المنورة في نفسه ، ونفوس المسلمين جميعاً في ظل الواقع الجديد . كما يجد القارئ في مقدمة قصيدته اللامية التي مطلعها ^(١) :

أَجِدُّكَ لَمْ تَهْتَجْ لِرَسْمِ الْمَنَازِلِ وَدَارِ مُلُوكٍ بَيْنَ ذَاتِ السَّلَاسِلِ

خامساً : لعل أهم ملامح الجدة في مقدمات حسان الإسلامية بروز توجه واضح يرمي إلى نبذ المقدمات التقليدية وأطرافها . ولعل من أبرز مظاهر هذا التوجه كثرة زجر حسان نفسه على التشبث بذكر الأطلال والتغزل بالمرأة في مقدمات قصائده ؛ وحثها على العدول عن ذلك التقليد ؛ لأنه لم يعد يلائم روح العصر ، أو يواكب الأحداث الخطيرة التي كانت تجري على الساحة الإسلامية ؛ فقد ازدادت نسبة استخدامه عبارات مثل " دع عنك شعثناء " و " فدع الديار " و " فدع عنك التذكر " في أبيات التخلص من قصائده الإسلامية عما كانت عليه في الجاهلية من ٩.٠٩٪ إلى ٥٠٪ فهو في قصيدته الرائية مثلاً ، يختصر المقدمة الغزلية في بيتين ، ولا يلبث أن يزجر نفسه عن ذكر شعثناء ، ويهيب بها أن تبدأ بعرض شكواها على رسول الله ﷺ ؛ فالمجال لم يعد يتسع للتلكؤ ، أو التسكع على أعتاب القصيد ، والنفس مفعمة بالمعاني والمشاعر والانفعالات ، التي توحى بها المرحلة ، والأحداث تتلاحق بسرعة ، والتغيير الجذري في الحياة بأسرها يأخذ مجراه ، فما الداعي لذكر المرأة ؟ ^(٢) :

دَعُ عَنْكَ شَعْنَاءَ إِذْ كَانَتْ مَوَدَّتُهَا نَزْرًا وَشَرُّ وَصَالِ الْوَاصِلِ النَّزْرِ

وقد يختزل حسان المقدمة الطللية الغزلية في بيتين ، ثم يزجر نفسه عن الاستهلال بذكر الأطلال الدارسة ، أو وصف الخرائد الفاتنات ، ويحثها على

(١) نفسه تح حنفي ، ص : ٢٨٠ وتح عرفات ١٩٧/١ وأجدُّكَ : أجد هذا منك . وذات السلاسل : موضع .

(٢) السابق تح حنفي ، ص : ٢٠٦ وتح عرفات ٢٦٥/١ .

الابتداء بيت همومه إلى الله تعالى ، وعرض شكواه عليه وحده عز وجل ، فهو وحده القادر على دفع الظلم عن المظلوم ، وكسر شوكة المعتدي وقصم ظهر الظالم ؛ كما فعل في قصيدته البائية حيث قال ^(١) ، بعد الفراغ من المقدمة :

فَدَعِ الدِّيَارَ وَذَكَرْ كُلَّ خَرِيدَةٍ بَيْضَاءَ آنَسَةِ الْحَدِيثِ كَعَابٍ
وَأَشْكُ الْهُمُومَ إِلَى الْإِلَهِ وَمَا تَرَى مِنْ مَعْشَرٍ مَتَأَلِّينَ غَضَابٍ

وفي القصيدة البائية الأخرى التي قالها يوم بدر لا تستغرق المقدمة الطللية سوى ثلاثة أبيات ، ينهى نفسه بعدها عن إهدار طاقاته الفنية في استرجاع ذكريات ولّى زمانها ، أو افتعال مواقف من نسج الخيال . ثم يأمرها بأن تستمد معاني مقدماته من وهج التجربة ، ولبيب المعاناة ، ومما يعتلج في نفسه ، ويضطرم بين جوانحه ، من مشاعر مهتاجة ، وروح وثابة ، عقب الانتصار الذي حققه المسلمون على المشركين يوم بدر ، يقول بعد المقدمة ^(٢) :

فَدَعِ عَنْكَ التَّذَكُّرَ كُلَّ يَوْمٍ وَرَدَّ حَرَارَةَ الصَّدْرِ الْكَثِيبِ
وَحَبَّرَ بِالَّذِي لَا غَيْبَ فِيهِ بِصِدْقٍ غَيْرِ إِخْبَارِ الْكَذُوبِ
بِمَا صَنَعَ الْمَلِيكَ غَدَاةَ بَدْرِ لَنَا فِي الْمُشْرِكِينَ مِنَ النَّصِيبِ

ولا شك أن كثرة زجر حسان لنفسه ، وتكراره على هذا النحو في قصائده الإسلامية يحمل دلالة قوية على تنامي إحساسه بأن المقدمة التقليدية للقصيدة قد غدت تشكل عبئاً على القصيدة ، وتجربتها الشعرية ، أو قيداً يجب التخلص منه أو تطويره بما يتلاءم مع روح عصره . وفضلاً عن ذلك فإننا نجد في شعر حسان دعوة صريحة إلى هذا التوجه ، فهو يعلن صراحة ثورته على تلك المقدمة ، واستشعاره ضرورة التحرر من قيودها ، قائلاً ^(٣) :

يَا لِلرَّجَالِ لِدَمْعِ هَاجٍ بِالسَّنَنِ لَقَدْ عَجِبْتُ لِمَنْ يَكْبِي عَلَى الدَّمَنِ

(١) نفسه ، تح حنفي ، ص : ١١٩ وتح عرفات ٨٠/١ .

(٢) نفسه ، تح حنفي ، ص : ١٣٤ وتح عرفات ٨٢/١ .

(٣) نفسه ، تح حنفي ، ص : ٢١٣ وتح عرفات ٣١٩/١ .

وهذا البيت ينسب أيضاً إلى كعب بن مالك^(١)، ومهما يكن من أمر نسبته فإنه يدل على أن فكرة نبذ المقدمة الطللية، والاستمداد من روح العصر، واستلهاهم أحداثه كانت مطروحة بقوة في البيئة الأدبية آنذاك.

وقد عزز حسان هذا التوجه في شعره الإسلامي بأن طبقه تطبيقاً عملياً في قصائده. يشهد بذلك قلة قصائده ذوات المقدمات إذا ما قيس بقصائده التي خلت منها.

ففي ديوان حسان تسع وستون قصيدة إسلامية خالية من المقدمات تشكل ٩٢٪ من مجموع قصائده الإسلامية، يقابلها ست قصائد إسلامية ذوات مقدمات تشكل ٨٪ من مجموع قصائده الإسلامية. في حين بلغت قصائد حسان الجاهلية الخالية من المقدمات أربع قصائد تشكل ٢٦,٦٦٪ من مجموع قصائده الجاهلية، وبلغت قصائده الجاهلية ذوات المقدمات إحدى عشرة قصيدة تشكل ٧٣,٣٣٪ من مجموع قصائده الجاهلية.

وبموازنة سريعة بين هذه النسب يظهر مدى التطور الذي طرأ على نظرة حسان إلى المقدمة التقليدية، وموقفه منها. ولعله يتضح من هذا العرض أن حسان قد قطع شوطاً طويلاً في طريق تطوير المقدمة التقليدية وتجديدها، والتحرر منها.

ومن العلامات البارزة في ذلك الشوط: اختزال المقدمة إلى أقصى حد، والاستغناء عن كثير من عناصرها التقليدية، وإضافة عناصر جديدة إليها. وظهور بعض الملامح الإسلامية في بعضها، واستخدام اسم المرأة استخداماً رمزياً في

(١) البيت مع أبيات أخرى في ديوان كعب بن مالك الأنصاري، تح سامي مكّي العاني، منشورات مكتبة النهضة، بغداد، الطبعة الأولى ١٣٨٦هـ / ١٩٦٦م ص: ٢٨٢.

بعضها الآخر ، وتضمنين بعضها دعوة إلى نبذ المقدمات الطللية والغزلية التقليدية ، واستلهاهم روح العصر في تلك المقدمات ، والاستمداد من أحداثه الجارية . ولم يقتصر حسان على ذلك بل أثبته بدعوة نظرية إلى نبذ الوقوف بالأطلال ، والنعي على من لا يزالون يتشبثون به في وقت تسارعت فيه الأحداث ، وتغيرت المفهومات ، وتطورت الرؤى ، وأصبح لزاماً على الشعراء أن يواكبوا تلك التطورات ، ويستجيبوا للمتغيرات التي طرأت على الحياة وقيمها ومثلها في ظل الإسلام ، ثم عزز ذلك بتطبيق عملي تمثل في التخلي عن المقدمة في تسع وستين قصيدة من قصائده الإسلامية تشكل ٩٢٪ منها .

وفي ضوء هذا التحليل تظهر الحاجة إلى إعادة النظر في بعض الأحكام النقدية التي تجعل من طريق التجديد التي شقها المخضرمون "خطوطاً باهتة طمست الرياح معظمها ، وألقت فيها ركاماً قطعها وسدّها" ^(١) .

لأن تلك الأحكام ، لا تصدق - على الأقل - على علم بارز من الشعراء المخضرمين ، هو حسان بن ثابت رضي الله عنه ، وتغمطه حقه في مجال تجديد مقدمة القصيدة وتطويرها ، وتنكر كل محاولاته الرامية إلى نبذ المقدمات التقليدية . وإذا كان الشعراء الأمويون لم يواصلوا السير في طريق التجديد الذي مهّده حسان وصحبه ، فليس ذلك لأنهم "لم يجدوا الطريق التي شقها المخضرمون ممهدة ، ولا عليها الصوى والأعلام التي يمكن أن تهديهم لكي يتمكنوا من مواصلة الرحلة ، ومتابعة الخطى ، ويصلوا إلى الغاية" ^(٢) كما يقول الدكتور حسين عطوان ، ولكن لأنهم آثروا ارتداء جلابيب الجاهليين والنسج على منوالهم واحتذاءهم حذو النعل بالنعل ؛ لأنهم رأوا فيهم مثلهم الأعلى في الشعر ،

(١) عطوان ، مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ، ص : ١٦ .

(٢) المرجع السابق .

فأهدروا مواهبهم الأدبية ، وبدّدوا طاقاتهم الفنية في محاكاتهم ، ولم يطلقوا لها العنان في طريق الابتكار والتجديد . وساعدهم على السير في ذلك الطريق الرواة ، واللغويون ، والنقاد . ومن هنا تظهر ضرورة مراجعة بعض المفاهيم السائدة عند دارسي الأدب ، فيما يتعلق بمسيرة المقدمة التقليدية ، وتجديدها ، في ضوء ما كشف عنه هذا البحث من أن تجديد المقدمة التقليدية ، والدعوة إلى نبذها والتخلي عنها لم تنتظر حتى ظهور طائفة الشعراء المجان في العصر العباسي ، يتقدمهم أبو نواس الذي حمل لواء الدعوة إلى نبذ المقدمات التقليدية ، مازجاً ذلك بالسخرية من الحياة العربية ، وتقاليدها الشعرية ، ومتخذاً من ذلك ستاراً يخفي تحته فكره الشعبي المنحرف ، ودعوته إلى الانحلال ، والمجاهرة بالفواحش .

إن الدعوة إلى تجديد المقدمة التقليدية للقصيدة العربية - كما يكشف عنها هذا البحث - قد بدأت قبل أبي نواس وفتته بزمان طويل ، ونبتت من إحساس حقيقي بالحاجة إلى تطويرها ، تجاوباً مع النقلة الواسعة التي تحققت في حياة العرب ، في ظل الإسلام ، وما اقتضته تلك النقلة من تغيير . فقد شهد صدر الإسلام استشعار شعرائه وفي مقدمتهم حسان رضي الله عنه - ضرورة تطوير المقدمة التقليدية ، بحيث تتلاءم مع النقلة الشاملة التي عاشها العرب ، في رحاب الإسلام .

لقد لمس حسان رضي الله عنه أن التغير الذي طرأ على الأفكار والقيم ، والرؤى ، والتصورات ، بفضل الإسلام ، يجب أن يواكبه تطور مماثل في الرؤى والمثل والقيم الفنية ، ومنها النظرة إلى المقدمة التقليدية للقصيدة العربية ؛ وأن التجديد في معاني الشعر ، وألفاظه ، وأساليبه لا بد أن يواكبه تطور في التقاليد الشعرية الموروثة ، وفي مقدمتها مقدمة القصيدة .

وكما كانت المقدمة التقليدية للقصيدة العربية في أصل نشأتها مرتبطة بالحياة العربية ، دعت الحياة الجديدة التي أظلتها قيم الإسلام ، ومثله ، وروحه إلى تطوير المقدمة التقليدية ، وتجاوب حسان مع تلك الدعوة ، وأخذ يتحسس الطرق والوسائل إلى تطويرها ، أو تجديدها ، أو نبذها .

وفي ضوء هذه النتائج فإن الحاجة إلى دراسة موسعة لمقدمة القصيدة العربية عند الشعراء المخضرمين ، وللمقدمة القصيدة العربية في صدر الإسلام تغدو ملحة .

* * *

جدول النسب

نسبتها ١٠٠٪				القصائد في شعر حسان				عددها ١٢٥	
مشكوك في نسبتها				صحيحة النسبة					
نسبتها		عددها		نسبتها		عددها			
٪٢٨		٣٥		٪٧٢		٪٩٠			
جاهلية		إسلامية		إسلامية			جاهلية		
نسبتها		عددها		نسبتها		عددها			
٪٥٠٧١		٢		٪٩٤٠٢٨		٣٣			
				نسبتها		عددها		نسبتها	
				٪٨٣٠٣٣		٧٥		٪١٦٠٦٦	
				ذوات مقدمات خالية من المقدمات		ذوات مقدمات خالية من المقدمات		ذوات مقدمات خالية من المقدمات	
نسبتها		عددها		نسبتها		عددها		نسبتها	
٪٩٢		٦٩		٪٨		٦		٪٢٦٠٦٦	
								٤	
								٪٧٣٠٣٣	
								١١	

مصادر البحث ومراجعته :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر (بذيل الإصابة) تحقيق الدكتور طه الزيني ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- ٣ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لابن عبد البر ، طبع مصر ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م .
- ٤ - الإصابة في تمييز الصحابة ، لابن حجر العسقلاني ، شهاب الدين أبي الفضل أحمد ابن علي ، تحقيق الدكتور طه الزيني ، الناشر مكتبة الكليات الأزهرية ، الطبعة الأولى ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م .
- ٥ - الأغاني ، لأبي الفرج الأصفهاني ، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة .
- ٦ - إنباه الرواة في أنباء النحاة لجمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي ، حققه محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع دار الكتب المصرية ١٣٥٠هـ / ١٩٧٣م .
- ٧ - تاريخ الأدب العربي ، الدكتور عمر فروخ ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .
- ٨ - تاريخ بغداد ، للخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي ، بيروت .
- ٩ - تاريخ التراث العربي ، فؤاد سزكين ، ترجمة محمود فهمي حجازي نشر إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ١٠ - تاريخ العلماء النحويين ، لمحمد بن مسعر التنوخي ، تحقيق الدكتور عبدالفتاح الحلو ، نشر إدارة الثقافة والنشر بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠١هـ / ١٩٨١م .
- ١١ - الحيوان للجاحظ ، أبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني ، تحقيق عبدالسلام هارون ، نشر المجمع العلمي العربي الإسلامي ، الطبعة الثالثة بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م .
- ١٢ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ، لعبدالقادر البغدادي ، طبع بولاق ، القاهرة ١٢٩٩هـ .
- ١٣ - دراسات في الأدب الإسلامي ، محمد خلف الله أحمد ، طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م .

- ١٤ - ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق الدكتور سيد حنفي حسنين ، نشر دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٤ م .
- ١٥ - ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ، تحقيق الدكتور وليد عرفات ، نشر دار صادر بيروت ١٩٧٤ م .
- ١٦ - ديوان كعب بن مالك الأنصاري ، دراسة وتحقيق الدكتور سامي مكّي العاني ، منشورات مكتبة النهضة ، بغداد ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .
- ١٧ - الروض الأنف في تفسير ما اشتمل عليه حديث السيرة النبوية لابن هشام لأبي القاسم عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي ، القاهرة ١٩١٤ م .
- ١٨ - سمط اللآلي في شرح أمالي القاضي ، لأبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري ، تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبياري ، وعبدالحفيظ شلبي الطبعة الثانية ، طبع مصطفى البابي الحلبي ، القاهرة ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .
- ١٩ - السيرة النبوية ، لابن هشام ، تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الإبياري وعبدالحفيظ شلبي ، نشر دار القلم بيروت .
- ٢٠ - الشعر الإسلامي في صدر الإسلام ، الدكتور عبدالله الحامد ، مطابع الإشعاع التجارية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م .
- ٢١ - الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ، أبي محمد عبدالله بن مسلم ، طبع ليدن مطبعة بريل سنة ١٩٠٢ م .
- ٢٢ - شعر عبدالله بن الزبير ، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري ، نشر مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثانية ، بيروت ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- ٢٣ - شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، الدكتور يحيى الجبوري ، نشر مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- ٢٤ - طبقات فحول الشعراء ، لمحمد بن سلام الجمحي ، تحقيق محمود محمد شاكر الطبعة الثانية ، طبع مطبعة المدني ، القاهرة ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م .
- ٢٥ - الطبقات الكبرى ، لابن سعد أبي عبدالله محمد بن سعد الزهري ، تحقيق الدكتور إحسان عباس ، نشر دار صادر ، بيروت ١٩٥٧ م .

- ٢٦ - العصر الإسلامي ، الدكتور شوقي ضيف ، دار المعارف بمصر ، الطبعة السادسة ١٩٧٤م .
- ٢٧ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لأبي علي الحسن بن رشيق القيرواني تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد ، دار الجليل ، بيروت .
- ٢٨ - عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير ، لابن سيد الناس محمد بن محمد الشافعي الأندلسي ، دار الجليل ، الطبعة الثانية بيروت ١٩٧٤م .
- ٢٩ - عيون الأخبار ، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ، طبع دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٣٤٣هـ / ١٩٢٥م .
- ٣٠ - الفهرست ، لابن النديم أبي الفرج محمد بن إسحاق ، نشر دار المعرفة بيروت .
- ٣١ - القاموس المحيط ، الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب ، المطبعة الميمنية ، القاهرة ١٣١٩هـ .
- ٣٢ - قصيدة بانت سعاد لكعب بن زهير وأثرها في التراث العربي ، للدكتور السيد إبراهيم محمد ، نشر المكتب الإسلامي .
- ٣٣ - الكامل في التاريخ ، لابن الأثير عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، دار صادر ، بيروت ١٣٦٦هـ / ١٩٦٦م .
- ٣٤ - لسان العرب ، لابن منظور أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، دار صادر ، بيروت .
- ٣٥ - معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، أبي عبدالله ياقوت بن عبدالله ، نشر مرجليوث ، طبع دار المأمون ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م .
- ٣٦ - معجم البلدان ، لياقوت الحموي ، تحقيق فريد عبدالله الجندي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- ٣٧ - معجم مصطلحات الأدب ، مجدي وهبة ، مكتبة لبنان ، بيروت .
- ٣٨ - مقدمة القصيدة الجاهلية عند حسان بن ثابت رضي الله عنه ، الدكتور محمود عبدالله أبو الخير (مخطوط) .

- ٣٩ - مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي ، الدكتور حسين عطوان ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٧٤ م .
- ٤٠ - منهج ابن هشام في رواية شعر السيرة ، الدكتور إسماعيل أحمد العالم ، دراسات (مجلة علمية متخصصة محكمة تصدر عن الجامعة الأردنية ، عمادة البحث العلمي) عمان ، المجلد الحادي عشر ، رجب ١٤٠٨ هـ آذار ١٩٨٨ م العدد الثالث .
- ٤١ - نهاية الأرب في فنون الأدب ، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، نشر المؤسسة العامة للتأليف والترجمة والنشر ، طبع مطابع كوستاتسوماس وشركاه القاهرة ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .
- ٤٢ - الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ، نشر انتشار جهان ، باعتناء هلموت ريتز ، الطبعة الثانية ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م .

* * *